الجهاد

الإمام المجدد

السيد محمد ماضى أبو العزائم

Abul Azayem

www.abulazayem.com

Version 3 / March, 2023

الجهاد

الإمام المجدد

السيد محمد ماضي أبو العزائم

١٢٨٦ - ١٣٥٦ هجرية / ١٨٦٩-١٩٣٧ ميلادية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله سريع الألطاف، الذى يجيب المضطر إذا دعاه، ويكشف السوء سبحانه، يغيث الضارع ويلبى السائل، ويجعل من بعد عسر يسراً وهو أرحم الراحمين.

والصلاة والسلام على الوسيلة العظمى والشفيع الأعظم يوم لاينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وآله وورثته.

وبعد... فيقول خُديم فقراء آل العزائم محمد ماضى أبو العزائم: إنى يسرنى أن أفرح بفضل الله ورحمته علىَّ وعلى جميع إخوتى المؤمنين لأنى عضو من الجسد الإسلامى.

ولما تحققت بما ألم بالمجتمع من الشدائد الفادحة كالكساد فى محصولات الزراعة والتجارة، والفتن التى كقطع الليل المظلم، والخصومات التى بين الأقارب والجيران، والغفلة التى استولت على القلوب، فأنْستها علام الغيوب وأليم عقوبته سبحانه وتعالى، وموقف يوم الحساب.

ورأيت النفوس ـ مع تلك البلايا ـ تجهل أسبابها حتى بلغت الغفلة مبلغاً، جعلت الناس يسارعون إلى إزالة البلايا بما يزيدها من المعاصى، فأحببت أن أوقظ قلوب إخوتى جميعاً إلى معنى قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ۝ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ الشورى ٣٠-٣١.

وإلى معنى قوله ﷺ فى الحديث القدسى: (إذَا عَصَانِى مَن عرفَنى سلَّطتُ عليه مَن لَمْ يَعْرِفْنِى) وقوله ﷺ: (مَن فُتِحَ لَهُ بابُ الدُّعاءِ فُتِّحَتْ له أبْوَابُ الرَّحْمَةِ وما سُئِل الله شَيْئاً أَحَبَّ إليْهِ مَنْ أَنْ يُسْأَلَ الْعَافِيَةَ). وقوله ﷺ: (الدعاءُ يَنفَعُ مِمّا نَزَلَ وَمِمّا لَمْ يَنزِلْ، فَعَلَيْكُم عِبَادَ الله بِالدُّعاء).

بينت ذلك ليسارع إخوتى ـ وفقنى الله وإياهم ـ إلى من يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء، بالتوبة والابتهال والتضرع والدعاء، قال الله تعالى دليلاً على ذلك: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ فَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٖ كَفُورٖ﴾ لقمان ٣٢.

معنى ذلك أن العبد إذا سأل الله عند الشدائد أنجاه منها ولو كان كافراً. وبما أن أسباب المصائب كلها هى معصية الله ومخالفة سنة رسوله ﷺ، ومن المعصية اعتمادنا على القطن ومحاربة بعضنا بعضاً فى تأجير أرضه واغترار الملاك، ففسدت أخلاق الفلاحين مزاحمة لبعضهم، فأراهم الله عاقبة سوء أعمالهم.

ثم فسدت أخلاق التجار فاستحلوا الربا، وحصلت المضاربة بينهم والحسد، وخالفوا ما أمر الله به من الإيثار والرحمة ومساعدة إخوتهم المسلمين، فعاقبهم الله بالسلب بعد العطاء.

اغتر الصناع فتجاهروا بالمعاصى، وأمنوا جانب الله تعالى، فأخذهم الله بكساد الأعمال وقلة المال.

جهل الناس أسباب البلايا، وهذه بيوت العاهرات وحوانيت الخمر ودور الميسر وأندية اللهو والخلاعة، تصعد منها ظلمات الكبائر فتحجب عنهم رحمة الرحمن، فأصبحت الغيبة صفة لازمة للعلماء، والكيد خُلُقاً من أخلاق النساء، والظلم خصوصية للحكام، والبخل للأغنياء، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فتنبهوا إخوتى وأقبلوا عل الله قبل أن يشتد غضبه، واعتبروا بما أصاب الأمم السابقة عند التهاون بأحكام الله ونسيان أيامه والغفلة عن ذكر الله تعالى، فقد كفى ما نزل من البلايا، فشت الأمراض الفادحة، قست القلوب حتى انتزعت الرحمة من قلوب الآباء، والطاعة من قلوب الأبناء، وتبرج النساء فى الأسواق، وتفضح الرجال بقبيح الأعمال، فسلط الله عليهم من لايخافه ولايرحمهم، أصبح الرجل وابنه متخاصمين أمام من لا يرحمهما، والمرأة والزوج متعاديين وكأنهم صاروا كالوحوش فى الغابات فأين الرحمة الإسلامية،

والعواطف الإيمانية والتعاون والتعاضد التى هى من صفات المسلمين؟ خربت المساجد فلا راكع ولا ساجد، وأقفلت أبوابها فى وجوه الفقراء، وازدحمت بيوت العاهرات حتى ضاقت بأهلها ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

اعتبروا فقد ظهرت علامات انتقام الله ممن خالفه، وتلك بوادر غضب الله، فتداركوا قبل حصول الخطر الأكبر حيث لا تنفع التوبة. كثر الهرج والمرج واحتقر الصغير الكبير وظلم الكبير الصغير، وأصبحوا وكأن الإسلام لا يخطر ببالهم نسياناً لدينهم وغفلة عن ربهم، وجحدوا يوم الحساب، ولا ملجأ ولا منجى من الله إلا إليه سبحانه.

الباب الأول

الجهاد وأحكامه وأساسه وأنواعه

الفصل الأول

الجهاد

تعريف الجهاد

الجهاد هو بذل ما فى الوسع فى سبيل الله تعالى وهو مقولة على معنيين، الأولى إعلاء كلمة الله تعالى، والثانية الرباط لحفظ أمور المسلمين ودفع العدو عند هجومه على جماعة المسلمين. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ الصف ١٠-١٢.

وبعبارة أخرى، هو استفراغ ما فى الوسع لمحو ما لا يرضاه الله ورسوله، ولا يرضاه العلماء الربانيون الراسخون فى العلم.

من هو العدو الذى أحاربه؟

العدو مأخوذ من عدا، أى تجاوز فى ظُلمه الحد، وكل من ظلم غيره بسلب حقه أو أوقعه فى مضرة أو أعانه على ارتكاب ما يغضب الله تعالى، أو سلط عليه قوياً ظالماً، أو دعاه إلى عقوق أو قطيعة أو فعل منكر فهو عدوه، ويجب أن يحاربه بقدر ما ارتكبه من المظالم.

والحكماء يتحفظون من الأعداء قبل تمكنهم من قصودهم، وهذا التحفظ يكون بطول اليقظة ودوام الفكرة ورعاية العبرة، ومن أهمل حتى مكن منه عدوه، أوقع نفسه تحت مخالب السبع، ومتى علم الإنسان عدوه وحبيبه، احتاط من عدوه بأقوى السلاح واحترس من حبيبه.

وأهل الحكمة يخفون عن الحبيب ما يخفون عن العدو، تحرزاً من الحبيب أن يكون وقتاً ما عدواً، أو أن يبيح بما علمه لغير أهله، قال رسول الله ﷺ: (أَحْبِبْ حَبِيبَكَ هَوْناً مَا عَسَى أَن يَكونَ بَغِيضَكَ يَوماً مَا، وَأبغِض بَغِيَضَك هَوناً مَا عَسَى أَن يَكُونَ حَبِيبَكَ يَوْمًا مَا).

الأعداء ثلاثة

أولاً أعداء ملازمون

فالعدو الملازم هو أعدى عدوك الذى يجب أن تُعد له ما استطعت من قوة ومن رباط الخيل ترهبه به، وهو نفسك التى بين جنبيك، وجنودها جوارحها المنفذة لأغراضها، وقائد تلك الجنود (اللسان)، وجواسيسه (العينان والأذنان)، وأنصاره المنفذون (اليدان والذَكَرُ والرجلان)، وقوته المطالبة (البطن).

وتلك الأعداء فى الحقيقة ونفس الأمر هى التى تولد الأعداء الخارجية، ومن أهمل محاربة تلك الأعداء، عاش عدواً لنفسه، فكيف يكون صديقاً لغيره! أو يكون له صديق! إن هذه الأعداء بعينها هى التى جعلت الإنسان يفتح على نفسه أبواب الشرور كلها، لأنه بإطاعة نفسه يتخذ العدو صديقاً والبغيض حمياً ويسارع إليه ويأمنه ويستسلم له، ويعادى النصحاء والأمناء الأوِداء، حتى يمتزج بأعدائه الألداء ويتحد بهم، ويفارق أحبابه النصحاء ويعاديهم، فلا يلبث إلا وقد أضاع مجده وشرفه ودينه ودنياه. ولديها ينكشف الستار عن الحقيقة فلا يجد له ملجأ يلتجئ إليه ـ بعد الله تعالى ـ إلا الاستغاثة بمن عاداهم والاتحاد بمن عصاهم من أقاربه، والالتجاء إلى من ظن بهم السوء، فيسارعون فى نصرته ويبادرون إلى دفع الظلم عنه، لأنهم يرون أن خيره خيرهم وسعادته سعادتهم، كل ذلك بسبب العدو الملازم وإهمال محاربته.

وكم أذل العدو الداخل نفساً عزيزة، وأضاع مجداً تليداً، وفرق مجتمعاً فاضلاً، وقطع أرحاماً موصولة. كل ذلك لأنه أطاع نفسه وهواه، وأحب الإثرة بالمال والفوز بالملاذ والشهوات، فكَرِه من ينصحه وعادىَّ من يشاركه ممن له حق عليه وصادق أعداءه، والفرد

الواحد فى الحقيقة ونفس الأمر هو مملكة عظيمة، وكل مجتمع يمثل بالفرد الواحد، فإذا أطاع الفرد نفسه وهواه احتقر بعد التعظيم وامتهن بعد الإكرام، وأضرب لك مثلاً: لو أن رجلاً عظيماً فى قومه مهاباً فى عشيرته موثوقاً به فى قرابته، أطاع حظه فارتكب نقيصة من لذة فانية أو شهوة دنيئة، لم تبح له شرعاً ولا عقلاً، يكون كسراج منير هب عليه عاصف فأطفأه، فبكم أضاع هذا المجد؟ الجواب: بدنيئة يستنكف أدنى الناس أن يرتكبها بمال قليل. ولو تبصر المسكين لسارع إلى قطع العضو الذى أضاع منه هذا المجد، فإن الإنسان إذا أضاع مجده كان فقْد الحياة أجدر به، ظهر لك أن الأعداء الخارجين لم يتمكنوا من الإنسان إلا إذا أطاع نفسه وهواه، وخالف مولاه جل جلاله.

ثانياً أعداء مفارقون

وهم أعداء تخفى عداوتهم ويكونون من الزوجة والأولاد، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡ﴾ التغابن ١٤، فإن الزوجة قد يطيعها الإنسان فيعق والديه ويترك أرحامه، ويترك الفضائل اشتغالاً بها، ويرتكب الدنايا لجلب ما يرضيها، ما لم يقف عند الحد الوسط. وكذلك الأولاد فإنهم سبب فى البخل والجبن والفساد، وقد يهمل تربيتهم الشرعية حُباً فيهم، فيكونون شروره فى الدنيا وعذابه فى الآخرة.

وعداوة هؤلاء تكون بالفتنة، ومنها حب الرجل زوجته وأولاده حُباً يشغله عن شكر والديه المفروض عليه، كما قال تعالى: ﴿أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ﴾ لقمان ١٤، أو يحبهم حباً يجعله يحرص على الدنيا فيطلبها من وجوهها وغير وجوهها. ويبخل بالمال فيجعله يجبن عن قتال العدو، حرصاً على البقاء لتربية الأولاد والتلذذ بالزوجة، قال رسول الله ﷺ: (الولد مجبنة مفسدة مبخلة).

وقد تكون عداوتهم ظاهرة، كفساد أخلاقهم بسوء تربية الوالد، لأن خير تربية للأبناء قهرهم على التمسك بالدين فى الصغر ورعاية أخلاقهم من الطفولة، ومجاهدة هذا العدو لا يقوم بها إلا الأفراد الذين جملهم الله تعالى بالشجاعة الدينية ومنحهم النفوس المؤثرة، ولذلك قيل فى المثل: الرجل يسوس مملكة بحكمته، ويعجز عن سياسة زوجته، و ما ذلك إلا

لأن للشهوة سلطاناً قاهراً، قال هارون الرشيد:

مَلَكَ الثَلاثُ الغانياتُ عَنَانى ... وحَلَلْنَ مِنْ قَلْبِى بكُلِ مَكَانِ
مَالِى تُطَاوِعُنِى البريَةُ كُلُهَا ... وأُطِيعُهُنَ وَهُنَ فى عِصْيَانِى
مَا ذَاكَ إلا أنَ سُلْطَانَ الهَوى ... وبِهِ قَضَيْنَ أَعَزُ مِنْ سُلْطَانِى

فأكمل الحكماء حقاً من جاهد نفسه وساس زوجته وأولاده، والبيت الصغير مملكة كبيرة لأن رئيسه ملك مطلق لا يتقيد بدستور، وعلى مقدار تربية البنين الصغار تكون منزلة الأمة بين العالم. لأن الأمة تتكون من عائلات، وعلى حسب آداب العائلات يكون شرف الأمة أو ذلها، ومتى كثر أهل الحق قهروا أهل الباطل، وهى سُنة العمران حتى مع رسول الله ﷺ قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ الأنفال ٦٤، وكل مجاهد معه الحق منصور وإن كثر عدد عدوه وعُدده.

ثالثاً أعداء خارجون

أما العدو الخارج فهو الذى يتجاوز الحد فى الظلم، ويكون إما مظاهراً علنياً أو مداهناً سياسياً.

١ العدو المظاهر العلنى وهو وإن كان أنكى فى العداوة إلا أنه يوقظ الهمة، وينبه إلى التحفظ، فيعلم الإنسان ما لم يكن يعلم من أبواب الحيل والمدافعة والاستعداد.

وكذلك متى تنبهت العائلة أو الأمة للعدو الخارجى اتحدت بكليتها إلى دفعه عنها بكل أنواع القوة، واعادت من شذ منها وابتدأت بنصيحته أو محاربته إن أبى، حتى تتفرغ للعدو الخارج.

٢ العدو المداهن السياسى وهو العدو المحتال المخادع، أى أنه العدو حقاً الذى يفسد الحياة الشريفة والعيشة الهنية، بتعاطى المخدرات أو بمسارعته إلى تيسير الحظوظ والأهواء الفانية، أو يبسط بساط الآمال وإظهار إرادة الخير والسعادة. أو بإظهار أنه يريد تنفيذ ما يحبه الإنسان من أذية عدو، أو نيل مشتهياته من مال أو سيادة أو جاه، حتى

يتمكن منه فيأكل لحمه ويمتص دمه، ثم ينقلب عليه – كما تنقلب الأفعى – بالقوة القاهرة ظلماً وطغياناً، منكراً عليه ما يدعيه لنفسه، مثبتاً كل ذلك له مع المنة عليه، لأنه أصلح وأحسن وكان الواجب شكره، فيتنبه من رقدة غروره وشهواته، بصيراً بعد العمى، معتقداً الحقيقة بعد الجهالة. قد انكشفت له حقيقة أعدائه وأحبابه، فيفر من أعدائه بعد العيان، وإن لم يكن قد انتفع قبل بالبيان، ويعلم أن عداوته لأحبابه كانت سبب الخسران، وأن تمكين أعدائه منه بسبب طاعته لنفسه وشهواته، ومتى استيقظ الإنسان لمحاربة نفسه وحظه تمكن منها، فملكها بطول مجاهدتها ومحاربتها حتى يقهرها فتلين له. وإنا فى زمان قد جهلنا فيه أعداءنا فاستنمنا لهم، وجهلنا فيه أحبابنا فنفرنا منهم، يفرح الرجل منا بمال الربا، وبمجالس اللهو والنظر إلى الفتيات، ويحب من يعينه على الفساد والضلال غير ملتفت إلى عدو ما بعد الغد، فلا يحفظ ديناً ولا شرفاً ولا يدخر مالاً ولا تُحفاً، ويسترسل فى هذا حتى يصبح يقلب كفيه فاقداً ما لديه، ويرى ملكه العظيم فى يد عدوه، أو مجده الأثيل عند أخصامه، ويرى من يعتمد عليهم أنشبوا أظافرهم فى كبده وداسوه بنعالهم، وهذا جزاء من يجهل عدوه، فيصادقه لحظ يفنى وشهوة توبق فى العذاب، فينخدع بحلاوة لفظه ويفرح بأضاليل وعده، ويعادى أصدق أصدقائه طمعاً فى نيل ما أطمعه فيه العدو، فيخسر كل شئ حتى أصدقاءه، والموت خير لهذا من الحياة.

قال الشاعر:

ومن يجعل الضرغامِ بَازاً لصيِده تصيَّده الضِّرغَامُ فيمن تصيَّدا

وقال آخر:

كُل له غرضُ يسْعَى ليُدْرِكَهُ والحُر يَجْعَلُ إدراك العُلا غَرَضاً

الجهاد وأحكامه

ثبوت فرضيته

أولاً ثبتت فرضية الجهاد بالكتاب

قال تعالى:﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ البقرة ٢١٦.

سبب نزول هذه الآية أن الله تعالى لم يأذن لرسوله ﷺ ولأصحابه بقتال أحد من المشركين مدة الإقامة فى مكة، حتى أيده الله تعالى بالأنصار من الأوس والخزرج بعد الهجرة إلى المدينة، ثم أُذن له ﷺ أن يقاتل من يقاتله، ثم يقاتل المشركين، ثم أُذن له بالجهاد عامة فى هذه الآية الشريفة. فالقتال فرض على رسول الله وأصحابه وعلى المسلمين جميعاً، إذا احتل العدو محلتهم بشروطه، وعلى كل من يُعينهم الإمام العدل.

فهذه الآية تفرض القتال على كل مسلم فى زمان رسول الله ﷺ، ثم صار القتال فرض كفاية، إذا قام به جماعة من المسلمين سقط عن الباقين، وعلى ذلك فالخلاف بين العلماء – إذا تقرر هذا الحكم – يصير خلافاً لفظياً، فإن بعض العلماء رأى أن القتال، فرض على كل مسلم، وذلك يكون إذا احتل العدو محلتهم، ويكون فرض كفاية، لدعوة أهل الكفر بالله إلى الإسلام، إذا كان جماعة المسلمين فى أمن، وعلى مدلول هذه الآية يكون الجهاد متعيناً على كل مسلم، لأن العدو احتل أكثر بلاد الإسلام، ولا يسلم من هذا الحكم إلا متحيز إلى فئة أو متحرف لقتال.

ثانياً ثبتت فرضية الجهاد بالسُنة

قال ﷺ: (إن فى الجَنةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدّهَا الله للمُجَاهِدِينَ فى سَبِيلِ الله مابَيْنَ الّدرَجَتين كَمَا بَيْنِ السّمَاءِ والأرْض فَإذَا سَألْتم الله فَاسْألُوهُ الْفِرْدَوْسَ فَإنهُ أوْسَطُ الجَنّةِ وَأَعْلَى الجَنّةِ أراه

فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ وَمِنْهُ تُفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ). وقال: (تَضَمَّنَ الله لمنْ خَرَجَ فى سَبِيلِهِ لاَ يُخْرِجُهُ إلاّ جِهَادُ فِى سَبِيلِى وَإِيمَانُ بِى وَتَصْدِيق بِرُسُلِى فَهُو ضَامِنُ أَنْ أُدْخِلَهُ الجَنَّةَ أَوْ أُرْجِعَهُ إلى مَنزِلِهِ الذِى خَرجَ مِنهُ نَائِلاَ ما نال مِنْ أَجْر أَوْ غَنِيمةٍ).

وقال: (وَالّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لولاَ أَنَّ رِجَالاً مِنَ المُؤمِنِينَ لاَ تَطِيبُ أَنفُسُهُمْ أَن يَتَخَلَّفُوا عَنِى وَلاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُهُمْ عَلَيْهِ مَا تَخَلَّفْتُ عَن سَرِية تَغْزُو فى سَبِيلِ اللهِ، والّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لَوَددتُ أَنِّى أُقْتَلُ فِى سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ أَحْيَا ثُمَّ أُقْتَلُ ثُمَّ أُحْيَا ثم أُقْتَلُ). وقال: (رِبَاطُ يَوْم فِى سَبِيلِ اللهِ خَيْرُ مِن الدُّنيا ومَا فيها). وعن ابن مسعود الأنصارى ﷺ قال: جاء رجل بناقة مخطومة فقال: هذه فى سبيل الله. فقال رسول الله ﷺ: (لَكَ بها يَوْم القِيامةِ سبعمائة ناقةٍ كلها مَخْطُومةٌ). وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: (عَيْنَانِ لاَ تَمَسُّهُمَا النَّارُ عينٌ بكتْ مِن خشْيةِ اللهِ وعينٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فى سبيلِ اللهِ). وعن معاذ بن جبل عن رسول الله ﷺ قال: (الْغَزوُ غَزْوَانِ فَأمَّا من ابتغى وجْهَ اللهِ وَأطاعَ الإمامَ وأنفَقَ الكَريمَةَ وَياسَرَ الشّرِيكَ واجْتنبَ الفَسَادَ فَإنّ نَوْمَهُ وَنُبْهَهُ أَجْرٌ كلّه، وأَمَّا مَن غَزَا فخراً ورِيَاءً وسُمْعةً وَعَصى الإمَامَ وَأفْسَد فِى الأَرْضِ فَإنّه لَمْ يرجِعْ بِالكَفافِ). عن عبد الله بن عمرو أنه قال: يا رسول الله أخبرنى عن الجهاد؟ فقال: (إن قَاتَلتَ صَابِراً مُحْتَسِباً بَعثَكَ اللهُ صَابِراً مُحْتَسِباً، وإن قَاتَلْتَ مُرَائِياً مُكَاثِراً بَعَثَكَ اللهُ مُرَائِياً مُكَاثِراً، يَا عَبدَ اللهِ بنَ عَمْرو عَلَى أَيّ حالٍ قاتلتَ أَوْ قُتِلتَ بعثَكَ اللهُ عَلى تِلكَ الحَالِ).

كراهية النفس للقتال مع أنه خيرلها فى الدنيا والآخرة

القتال عمل يؤلم النفوس، يقول تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ البقرة ٢١٦، ولكنكم تقومون به اتباعاً لأمر الله تعالى رضا من أنفسكم، والله تعالى يكشف الحقيقة ويقول: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ البقرة ٢١٦، وعسى هنا لتحقيق الوقوع كلعل فى القرآن، كأنه يقول سبحانه وتعالى: وما تكرهون من قتال فى الدنيا هو خير لكم فيها وفى الآخرة، أما فى الدنيا فبما تفوزون به على الأعداء فى الغنيمة وفى الشهادة، ذلك هو الخير العظيم فى الدنيا. وأما فى الآخرة فبما يتفضل الله به علينا فى أن يُنزلنا مقعد صدق عنده

سبحانه فى جوار الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً. وكأن القرآن يبين لنا أن كل ما كان مؤلماً لأبداننا متعباً لها مبغوضاً لدينا، من عناء فى الجهاد أو فى الحج والصيام والصدقة، فهو خير لنا فى دنيانا وآخرتنا. فى دنيانا لحفظ صحتنا بالصيام والحج، وحفظ أموالنا وشرفنا بين إخواننا بالصدقة، وحفظ ديننا ونيلنا النعيم فى الآخرة وتمكيننا فى الأرض بالحق.

ويكشف الله تعالى الحجاب فى قوله تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡ﴾ البقرة ٢١٦، عن الحقائق التى يميل إليها سوء الطبع من الحسد والحرص والطمع، ومن خبث النفس الأمارة بالسوء وغيرها، وهو وإن كان ملائماً لطباعنا فهو شر فى الدنيا والآخرة، أما فى الدنيا فإنه يفسد الصحة ويضر المرء فى دينه وماله وعرضه وشرفه، وأما فى الآخرة فإن الله تعالى توعد عليه بالعذاب الأليم، وصدق الله العظيم: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ البقرة ٢١٦.

يخبرنا ربنا جل جلاله أنه هو الذى خلقنا وأمدنا، وكَوَن حقائقنا وأحاط علماً بما ينفعها فى الدنيا والآخرة وما يضرها. وبين لنا سبل المنافع والمضار. ولم يحظر علينا سبحانه أن نترك ما ينفعنا على الوجه الأكمل، بل أباح لنا ما لابُد لنا منه وأكمل، بل يسره من حيث ما يميل إليه النفس الشهوانية والغضبية والملكية. وأظهر لنا مضار ما حرمه علينا من حيث الشهوات والأخلاق والمعاملات، ومن حيث ما يحبه ويرضاه من العقيدة والعبادة، مما نطيقه مع حفظ حياتنا وصحتنا ومالنا ورفعتنا فى الدنيا والآخرة، أو بفقد حياتنا إذا علم أن بقاءها لا يليق بالمؤمن. لأن الله جعل العزة للمؤمنين، فأمرنا بالجهاد وهو كُره لنا ليحفظ لنا تلك العزة، وما دمنا أحياء فيوجب علينا سبحانه أن نرجع إلى علمه بنا الذى رتب عليه الأمر والنهى، ونعتقد أننا لا نعلم ما يضرنا وما ينفعنا، إذا نحن أطعنا هوانا وسارعنا إلى ما يلائمنا فى العاجل، غير ناظرين إلى ما ينتجه من المضار فى تلك الدار العاجلة والآجلة.

قوله تعالى: ﴿وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ البقرة ٢١٦، أى لم تنكشف لكم أسرار الغيوب المقدرة عليكم، لابتلائكم واختباركم، فإنا نرى أنفسنا إذا خالفنا أهل الرأى منا والحكمة حصل الخسران والدمار للمخالفين، وهم أناس أمثالنا، فكيف بمن خالف أمر الله ونهيه وهو العليم الخبير؟!

حكم الله فى موالاة الأعداء

الواجب على كل مسلم إذا أعلن الإمام الأعظم الجهاد على قوم، أن يجاهد معه بقلبه ولسانه ويده وماله إن أمكن، فإن لم يمكن فبقلبه ولسانه ويده، ويجب عليه أن يعادى كل عدو احتل بلداً من بلاد المسلمين. ومن ساعد عدواً محارباً أو محتلاً بلداً من بلاد المسلمين بلسانه أو بقلبه أو بماله أو بيده سُلِب إيمانه، قال الله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ المجادلة ٢٢، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾ الممتحنة ١، وقال سبحانه: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ آل عمران ٢٨.

ومن اغتر بالدنيا فنسى الآخرة وخذل إخوانه المسلمين بمساعدة أعدائهم، مرق من الدين كما يمرق السهم من الرمية، قال تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا﴾ الإسراء ١٨، فليتبين الذين يدعون الإسلام بالباطل، وليحذروا أن يأتى الله بالفتح أو أمر من عنده، فيصبحوا على ما أسروا فى أنفسهم نادمين.

هذا ما يتعلق بالنفس، فكيف بمن جاهروا وسارعوا فى الأعداء وبينوا لهم عورات إخوانهم المؤمنين؟ أعاذنى الله وإخوانى المؤمنين جميعاً من موجبات سخط الله وغضبه.

حكم ترك الجهاد

وما ترك المسلمون الجهاد والظهور على الأعداء إلا سيموا الخسف وجُللوا بالذل، وكانوا سفلة ليسوا من الإسلام فى شئ، وما تقول فى مسلم رضى بالحياة الدنيا وزينتها ونسى يوم الحساب، إذا لم يكن متحيزاً إلى فئة أو مُتحرفاً لقتال؟ الحكم لا يخفى على مسلم بمعناه واعتبار هؤلاء مسلمين جهل بحقيقة الإسلام وروحه.

عاقبة ترك الجهاد

إذا أحب المسلم الحياة وزين له الشيطان ﴿ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ﴾ آل عمران ١٤، يبخل بماله ودمه أن يجود بهما فى سبيل الله، حرصاً على التلذذ بهما فى الدنيا، وعلى ما يدخره لأولاده مما يجعله غير مبال بطرقه التى يجمعها منها، وجبن أن ينصر الله ورسوله خوفاً على حياته. وفسدت أخلاقه لمسارعته إلى الدنيا وحرصه عليها وترك الرغبة فى الآخرة، فيعيش فقيراً مع كثرة ماله، لأن الفقر إنما هو فقر القلوب، ذليلاً مع كثرة عياله وحشمه، لأن الذل فقد العزة بالله تعالى اعتقاداً وحالاً. وكم من فاقد القوت وهو غنى بالله تعالى، تعظُم نفسه أن يُرىَّ فقيراً لغير الله تعالى. وكم من أسير مكبل فى الحديد أعز من الملوك، تكبر نفسه عليه أن يلين أو يداهن ولو أُخذ بأطراف الأسنة أو طُعن بالحراب، وهذا هو الغنى الحقيقى والعز الحقيقى.

ينتج ترك الجهاد أن يكون المسلمون رعية لغيرهم لا سيادة لهم، ومتى صاروا أتباعاً لا سيادة لهم، حُكم فيهم بغير حُكم الله تعالى، وسلب العدو موارد الثروة ومراتب السيادة والوجاهة والحمية والغيرة الإسلامية، فأصبحت دور الشرف ومنازل العزة والمجد، ومعامل الصناعات وأسواق التجارات وأنهار الزراعات، وثغور البلاد وطرق البر والبحر بأيدى العدو، وصار العدو بين جالس على كرسى القوة والعزة، وجالس على بساط الأمر والنهى، متبختراً فى رياض البهجة والأنس، أو ماشياً مرحاً فى معامل الصناعات، أو متنقلاً فرحاً فى جلب التجارات، أو سائحاً فى البلاد ليشهد مشاهد الإجلال والإعظام والبهجة.

ويصبح المسلم بتركه للجهاد بين عامل حقير يخاف الجوع والعرى والذل إذا لم يتملق لعدو الله ويسمع ويطيع، ممتهناً بأقل المهن أو محترفاً بأقبح الحرف، أو يد سوء عاملة لأذية إخوانه المؤمنين، ليرضى عدو الله وعدو رسوله ﷺ، فرحاً بسماع كلمة من أعدى عدوه أو بنيل قليل من الدراهم، يسره أن تمحى السنة وتظهر البدع، ويسره أن يذل أهل التقوى والعلم ويرتفع أهل الكفر بالله، فيصبح كالحيوان الأعجمى أو أضل أو أذل.

انظر إلى البقرة يُحرم ابنها لبنها ويمشى وراءها مكمم الفم ظمآن جائعاً متسلياً عما فيه أمه، وأمه متسلية عما هو فيه، ثم تُربط فى المحراث أو الساقية فتحرث الأرض وتسقى

الحرث، وتحرم هى وابنها ضرعها وزرعها. وكذلك القرد يربط فيضحك الناس مقهوراً بما يناله من الضرب والأذية ثم ينتفع غيره بنتيجة عمله. وكذلك المسلم إذا ترك الجهاد وحرص على الحياة الدنيا، يكون أدنى من الحيوان الأعجم لأن الحيوان يقهره الإنسان بفكره وحيلته، وكيف يرضى المؤمن أن يذله الكافر وهو العزيز بالله، المسارع إلى نيل السعادة فى جوار رسول الله ﷺ؟ وهو يعلم أن الجهاد باب سعادته، وسبيل فوزه، والحجة التى تقوم له على صدق إيمانه ووفائه بعهده، وفيه مع ذلك العزة لله فى الدنيا، والتمكين فى الأرض بالحق، والعلو فيها بالحق، وجعل أعداء الله من ملوكهم وعامتهم عبيداً يباعون فى الأسواق، وأهل ذمة فى ولاية المسلمين. وتكون التجارة والصناعة والزراعة والرياسة والكلمة النافذة للمسلمين.

ألوان من فتن الاستعمار

وهنا أبين لإخواننا حفظنا الله وإياهم من فتنة المستعمرين، الذين كانوا مماليك يباعون فى أسواقنا، قبل مخالفتنا لكتاب ربنا وسُنة نبينا. ثم لما فرقتنا الأطماع والأهواء، والتفت عنا ربنا بوجهه الجميل، تمكنوا منا فجاسوا خلال ديارنا وطعنوا فى ديننا، وسعوا بالحديد والنار أن يردونا عن ديننا، كما فعلت فرنسا فى مراكش، والإنجليز فى فلسطين والسودان، وفى مستعمراتها شرق أفريقيا وغربها وجنوبها، وكما فعلت هولندا فى جاوا. وكما تفعل كل أمم أوروبا فى مستعمراتها بطلائع الظلم والبهتان من جنود المبشرين وجنود الكيد والخداع، ثم جنود الحديد والنار، كل ذلك من مخالفتنا لسُنة نبينا ﷺ.

وهنا أصارح إخواننا المسلمين مبيناً لهم أن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، أجلى أمم أوروبا جميعاً عن شمال أفريقيا وغرب آسيا، وأبقى النصارى بين المسلمين لأن القرآن المجيد أمرنا برحمة أهل ذمتنا، أو معاملتهم فى الحقوق الاجتماعية بما نعامل به أنفسنا، ثم انتشر الإسلام حتى وصل إلى غرب أوروبا وجنوبها، فكانت أسبانيا الأوروبية بلداً إسلامية وكذلك البندقية، وفتحت روما بشبان من أبناء المسلمين فى زمان بنى أمية، وانتشر الإسلام فى جزائر البحار. ثم فتح شرق أوروبا بالجيوش العثمانية حتى وصل الإسلام إلى بولونيا والنمسا والمجر، ولما قامت الحرب بين فرنسا وأسبانيا وتمكنت جنود أسبانيا من فرنسا

واستجار ملك فرنسا بسلطان تركيا، كتب السلطان فوراً لملك أسبانيا أن يوقف الحرب، ويخرج من فرنسا وهدده فسمع وأطاع، إلى أن تمزقت الدولة العثمانية لما ركن إلى الترف خلفاؤها، ودب الضعف فى المجتمع الإسلامى، وقام كل زعيم فجعل نفسه ملكاً لأمته، وتعدد الملوك واختلف بعضهم على بعض فأضعفوا أنفسهم فكانت الحروب الصليبية. ولكن المسلمين مع تفرقتهم جمعتهم كلمة الدين بغيرة لله ألقت فيها على أوروبا دروساً، خصوصاً على ملك فرنسا الذى كان أسيراً فى دار ابن لقمان بالمنصورة، وتلك العزيمة دعا إليها مس الدين.

كادت أوروبا للمسلمين بمكايد لا يعلمها إلا أهل الرذائل والمفاسد، فنشروا فى الشرق تحرير الرقيق، ثم خدعوا قادة الشرق بالمكيفات والمخدرات، وبالنساء اللاتى كن يهجمن على بيوت قادة الأمم بصفة خدم ومربيات، ولا أبعد بك فإن أحد سلاطين مراكش كانت عنده فرنسية ولدت له ولده الذى كان ولياً للعهد، وتولى المُلك فكان فرنسياً رأياً ومعيشة وعملاً، حتى خالف الشرع فى أعماله، فتمكنت فرنسا وأسبانيا فى زمنه من نشر مبادئ الاستعمار، ثم أرسلت أوروبا جيشاً آخر من ثلاث فرق، فرقة مالية وفرقة تجارية وفرقة يسمونها التبشير، جنودها نساء طبيبات أو معلمات ورهبان معلمون، فافتتحوا المدارس فى كل مدينة مجاناً، وبذلوا الأموال للنشء الصغير ولأهليهم حتى تمكنوا من الأمة، وأظهروا أنهم رحماء يرحمون العبيد والزنوج والفقراء والمرضى، فمالت إليهم قلوب الهمج الرعاع أتباع كل ناعق.

فما مضت عشية أو ضُحاها حتى ملكوا عقارات الأغنياء وملكوا قلوب الزعماء وخدعوا الفقراء، وبينما الناس فرحون بهم فى بلاد الشرق، إذا بالأساطيل تجوب البحار والفيالق تخرق المدن بالقلوب القاسية الجافية، والأيدى الظالمة الآثمة، تجعل الأحرار أدنى من العبيد، والعظماء أحقر من العامة، فلم ينس الناس تحرير الرقيق ولا الرفق بالحيوانات وتحققوا أنه البنج الذى خدروا به أعصاب الأمم، حتى سلبوا مرافق حياتها، وتصرفوا فى الأعراض والدين والصناعات. وهذا جزاء مخالفة الشريعة المُطهرة، قال أبو هريرة ﷺ: (إنما يسعد آخر هذه الأمة بما سعد به أولها).

والواجب علينا جماعة المسلمين أن نرجع إلى ما كان عليه سلفنا الصالح، وهذا لا يكلفنا بذل جهد ولا عناء، إنما هى محبة فى الله وإخاء فى الله وعمل بسُنة رسول الله، وإيثار الأخ فى الله على النفس، والثقة بكل مسلم والحذر من كل عدو للإسلام، وبذلك يعيد الله لنا هذا المجد الأثيل، ويعيد أعداءنا مماليك يباعون فى أسواقنا كما كانوا لسلفنا.

كل مسلم مطالب بالجهاد

ما من مسلم إلا وهو مطالب بالجهاد بقدره، إما بإعداد المعدات أو بها وبنفسه، فعلى العالم المتفنن أن يجتهد فى اختراع ما به قوة سلطان المسلمين، وعلى التاجر أن يجتهد فى جلب ما به قوة المسلمين، وعلى المزارع أن يعد ما به مساعدة المجاهدين، فكل مسلم فى كل نَفَس يجب أن يكون مجاهداً فى سبيل الله. وليس الجهاد قاصراً على مجاهدة العدو، فإن من جهز غازياً كأنه جاهد فى سبيل الله، وعلى معلم الصبيان أن يبث فيهم روح الغيرة على الدين والمدافعة عنه وعن أهله. والجهاد هو العبادة التى تنبئ بكمال الإخلاص لله تعالى والتصديق بما بشر الله به، وقد كان النساء يجاهدون فى سبيل الله بما استطعن، إما بالغزل أو بالنسيج أو بتجهيز الأغذية أو بضماد الجروح أو بنقل الماء، حتى كانت المرأة تقص شعرها ليكون قيداً لدابة يجاهد عليها مسلم فى سبيل الله لتكون جاهدت، حتى كان كل مسلم وكل مسلمة فى كل نَفَس يرى نفسه مجاهداً بأى معنى من معانى الجهاد، حتى الأعمى فإنه كان يتوجه إلى بيوت إخوانه المجاهدين ليقضى لهم حاجتهم ليكتب عند الله مجاهداً.

والجهاد ينتج نتيجتين حقيقتين، الأولى علو الكلمة وعز أهلها والغنيمة، والثانية الحياة الطيبة فى فردوس الله الأعلى والفوز برضوانه الأكبر. ولم تر عينى ولم تسمع أذنى بتجارة تربح هذا الربح أبداً إلا الجهاد فى سبيل الله، وإنى على يقين أن أصغر مسلم يعلم أن كلمة الله لا تعلو إلا به، وأن العز الحقيقى لا يكون إلا بالجهاد، ولا شرف ولا مجد أعلى من هذا.

أسأل الله تعالى أن يكشف لقلوبنا حقيقة الجمال الربانى، الذى به ننجذب بكليتنا إلى الرضوان الأكبر.

❊ ❊ ❊

الفصل الثالث

الجهاد وأساسه

أساس الجهاد

لا يكون الجهاد حقاً إلا إذا أُسس على العدالة والرحمة، وكل جهاد دعت إليه المصلحة فظلم وجور. والأمة التى تقهرها أمة أخرى للمصلحة يتعين عليها الجهاد، ويكون عدلاً وفريضة، وقد عرفنا الجهاد أنه بذل ما فى الطاقة لمحو الظلم والتظالم ودفع الضلال والبدع والرجوع إلى الكتاب والسُنة.

وأقل الجهاد إنكار القلب للأمر المحرم شرعاً، ومن ألف الذل والبدع ولم يجاهد بيده وبلسانه وبقلبه – أو على الأقل ينكر بقلبه – فارق الإيمان. ومن جاهد ليدفع ظلم الظالمين عن أمته، فهو ناصر للحق والحق معه، ومن كان الحق معه نصره الله ولو اجتمع عليه من بأقطارها، ومن جاهد لتكون كلمة الله هى العليا نصره الله وأيده بروح القدس، قال الله تعالى: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ البقرة ٢٤٩.

أولاً العدل

ليس العدل رعاية المصالح ووضعها حيث اقتضت، ولا الحرص على طلب المنافع فى أى وقت تهيأت، ولا المسارعة إلى دفع المضار عن من حلت به إذا استحقها، هذا هو الظلم لا العدل، وبين العدل والمصلحة كما بين النور والظلمة، والعدل فى الحقيقة هو وضع الشئ فى محله وإيصاله إلى مستحقه. والقوى الإنسانية منفردة لا تصل إلى حقيقة العدل لغلبة سوء الطبع. وإنما ينال العدل حقاً بالعمل بوصايا رسول الله ﷺ، وكل مجتمع لم يكن متمسكاً بالدين، فهو محروم من الفضائل محروم من العدل الحقيقى كالمجتمعات الجاهلية التى كانت تتغالب، وكان تغالبها على السلامة والكرامة واليسار واللذات والأسباب التى توصل إليها، والعدل عند هؤلاء هو أن يقهر القوى الضعيف، إما بمحوه كما فعل الإفرنج فى أمريكا وفى الأندلس، أو بإذلال المقهورين واستعبادهم كما فعل الإنكليز وغيرهم من دول أوروبا فى

بلاد الشرق، الذين قهروا الأمم الشرقية واستعبدوهم وكلفوهم أن يعملوا ما هو خير للإنكليز فيرون أن استعبادهم للأمم هو العدل، وأن عمل المقهورين ما هو إلا النفع والخير للقاهرين هو العدل، ويكون سلب السلامة والكرامة واللذات والمسرات من الأمة المقهورة هو العدل والفضيلة. وهذه هى الطبيعة الإنسانية إذا لم تقهر على العمل بوصايا رسول الله، وكم انمحت مجتمعات بأجمعها، وانمحت معها فضائلها وصناعتها الفاضلة، وآدابها وأخلاقها الجميلة، بسبب هذا العدل، الذى هو عدل الأمم الجاهلية وكل مجتمع لم يخف الله تعالى كان كالفرد الذى لم يخف الله تعالى، الذى يرى مسراته فى إذلال غيره وقهره على جلب الخير له ودفع الضر عنه.

أنواع العدل

والعدل نوعان: ظاهر وباطن

فالعدل الظاهر ما تعلق بالأحكام والمعاملات، وهذا إن لم يؤخذ به من الأصول التى أنزلها الله تعالى بطريق الاستنباط أو بطريق الرأى أو القياس مع الاجتهاد فليس بعدل، بل هو ظلم فى صورة العدل اقتضته مصلحة الأمة القاهرة أو الهيئة الحاكمة.

والعدل الباطن هو مراقبة الله تعالى والخوف من نقمه وبه يكون الإنسان عادلاً فاضلاً. أما العدل الذى تنتجه القوة، وتظهره الرشاشات والمقذوفات الجهنمية والطيارات والغواصات فهو مصلحة لا عدل.

العدل يأمر به الكتاب وتحث عليه السُنة

العدل شئ تألفه النفوس وتعتقده القلوب وتطمئن إليه، وإن كان ثقيلاً على النفوس البهيمية مبغوضاً عند من جهل نفسه. وهو بهجة النفوس الزكية، ومقصد الأرواح الطاهرة، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ النساء ١٣٥.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (إنَّ المُقْسِطين عندَ اللهِ علَى منابرَ مِن نورٍ عَن يمينِ الرحمنِ - وكلتا يديه يمين - الذين يعدلُونَ فى حكمِهم وما وُلُّوا).

وعن أبى سعيد الخدرى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (أحبُّ الناسِ إلى اللهِ يومَ القيامة وأدناهم منه مجلساً: إمَامٌ عادلٌ. وأبغضُ الناسِ إلى اللهِ تعالى وأبعدُهم مجلساً: إمامٌ جائرٌ).

وقال صلوات الله وسلامه عليه: (أوصانِى ربّى بالإخلاصِ فى السرِّ والعلانيةِ، وبالعدلِ فى الرضا والغضبِ، وبالقصدِ فى الغنَى والفقرِ).

وقال ﷺ: (ادفعُوا الحدودَ ما وجدتُم لَهَا مَدْفَعاً، فَلأَنَ يخطئ الإمامُ فى العفوِ، خيرٌ من أَن يُخْطِئَ فى العقوبةِ).

ومن كلام عمرو بن العاص: سلطان عادل خير من مطر وابل.

دولة الظلم ساعة ودولة الحق إلى قيام الساعة

ومن جملهم الله تعالى بالعدل الحقيقى لا يخافون إلا الله تعالى، لأن الله تعالى هو الحكم العدل، وخلق السماوات والأرض ومن فيهن بالعدل. وهو سبحانه عدو كل أمة ظالمة، ولكنه سبحانه وتعالى يستدرج الأمة حتى إذا عم ظلمها أهلكهم جميعاً. وكم انمحقت دول قهروا العباد وملكوا البلاد ونشروا الفساد وظن الناس أن ملكهم لا يزول، فما كان إلا عشية أو ضحاها إلا وأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم، لأن الحكم العدل منتقم قهار يكره الظلم من نفسه فكيف يرضاه من خلقه؟ ونحن اليوم فى الجاهلية العمياء الثانية، إذ الجاهلية الأولى كانت فى الشرق قبل بعثة رسول الله ﷺ. فإن الشرقيين سادوا وشادوا وبنوا وقهروا، فأبادهم الله تعالى وسلطهم على بعضهم حتى أبادهم الظلم وأذلهم، واحتل بلادهم دولة الرومانيين فظلموا وقهروا، فمحاهم الله بالنور الإسلامى، وها هى الجاهلية الثانية، فهم كما قال الله تعالى: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾ الحديد ١٣.

يخدعون الشرقيين بزخارف الأقوال، ويسلبون منهم كل شئ، وقد آن للشرقيين أن يتنبهوا من نومة الغفلة، ويهبوا من رقدة الجهالة، ويعتقدوا حقيقة العدل، ويطلبوه ويعلموا أنه لا يكون إلا بالرجوع إلى الدين، والعمل بوصايا سنة سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين.

وها نحن فى زمان سرى نسيم الحياة فى تلك الأشلاء النائمة فأيقظها، ولم يبق بينهم وبين إعادة المجد الحقيقى إلا التحفظ والاحتياط، خصوصاً فى جميع المجتمعات الشرقية. فإن تلك النهضة، تنتج الخير الحقيقى إذا اعتبروا بالحوادث السابقة، ووقفوا أمام خصومهم وقفة مطالب بالحق، من غير أن تقتل شعورهم المصالح والأدواء الإنسانية والشخصيات.

ثانياً المصلحة

العامل لمصلحة نفسه، أضر من الوحش الكاسر وأنكى من الوباء وأفسد من السيل الجارى، مع أنى لا أنكر أن الباعث للأعمال هو المصالح، ولكن المصالح المتحدة بالدين الناتجة عن الإخلاص لله، والعمل لنيل مرضاته، يكون العمل لها عبادة وإقبالاً على الله تعالى مهما كانت نتيجتها، فإن المجاهد لتلك المصلحة ينتظر الحسنيين أو إحداهما، فإن ظفر بالحسنى فى الدنيا ظفر بالحسنى فى الآخرة على قدر نيته، وإن لم يظفر بالحسنى فى الدنيا ظفر بالحسنى فى الآخرة، وهى بُغية أهل النفوس الفاضلة. وما ترك الجهاد قوم إلا استعبدوا لغيرهم وباءوا بالخزى والذلة، وكانت البهائم أسعد منهم وأهنأ، والجهاد سعادة للأفراد وعز للمجتمع الإسلامى ومرضاة لله ورسوله، يعيش الناس به فى راحة وصفاء، ومن قضى نحبه منهم جاور الأطهار من أحباب الله، والأخيار من أولياء الله فى فردوس الله الأعلى.

الفصل الرابع

الجـهاد وأنواعه

الجهاد نوعان رئيسيان: أولهما جهاد النفس. وثانيهما جهاد العدو.

أولاً جهاد النفس

أول الجهاد وأجلّه هو مجاهدة النفس حتى تكون مقهورة تحت سلطان الشريعة، مسارعة إلى العمل بمحاب الله ومراضيه.

ولا تكون تلك المجاهدة صحيحة، إلا إذا كَمُلت المراقبة، حتى لا يصدر من المؤمن قول ولا عمل إلا بعد أن يستبين له أنه خير مشروع، وأنه خالص لوجه الله، وأنه مقصود به نيل فضل الله ورضوانه، وهذا المؤمن تكون عاداته عبادات وهو المؤمن الكامل، وغيره تكون عباداته عادات لغفلة قلبه فى العبادة، وجهله بتحرير النوايا والقصود. وهذا هو الجهاد الأكبر، ومن لم يجاهد نفسه حتى تزكو لم يفلح فى عمل من الأعمال. قال الله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ الشمس ٧-٩، وقال ﷺ: (رَجَعنَا مِنَ الْجِهَادِ الْأَصْغرِ إِلَىَ الْجِهَادِ الْأَكْبَرِ، جِهَادِ النَّفْسِ) وقد بينا فى طريق جهاد النفس بياناً شافياً فيما سبق لنا من الكتب، وطالب النجاة والسعادة يسارع إلى فهم تلك الأسرار من مواضعها.

ثانياً جهاد العدو

أما جهاد العدو فأوله إنكار القلب لكل حادثة تخالف الشريعة ولمن أحدثها، فإن قوى الإنكار جاهد بلسانه مبيناً الحق ومبطلاً الباطل، فإن قويت المراقبة دفع ما يغضب الله تعالى بيده.

والجهاد له شروط مخصوصة، وقد بينه رسول الله ﷺ بالقول والعمل والحال، وقطبه الذى تدور عليه رحاه قوله ﷺ: (الْحَرْبُ خِدْعَةٌ) وقوله ﷺ موقظاً للقلوب ومنبهاً

للأفكار: (اسْتَعِينُوا عَلَى إِنْجَاحِ الْحَوَائِجِ بِالْكِتْمَانِ فَإِنَّ كُلَّ ذِى نعمَةٍ مَحْسُودٌ) وعمله ﷺ الذى هو الحجة، فقد كان يقصد جهاد قوم ويورى بهم.

وإنا والحمد لله قد أظهر الله رجالاً جددوا سنن رسول الله ﷺ وتشبهوا بأصحابه الكرام، فجاهدوا أعداء الله بالسيف والخديعة وإخفاء قصودهم، فنصرهم الله تعالى لتشبههم بحبيبهم واقتدائهم بعمله. أيدنا الله وإياهم بروحانيته ﷺ، وأمدنا وإياهم بالنصر والفتح المبين، وجدد بنا جميعاً سُنن سيد المرسلين. وإنا جماعة المسلمين على يقين حق بأنه لو اجتمع علينا من بأقطارها ونحن على ما عليه إخوتنا المؤمنون، لنصرنا الله وأذل لنا أعداءنا، منحنا الله الرجوع إلى ما كان عليه سلفنا الصالح، وأعاد لنا المجد إنه مجيب الدعاء.

وجهاد العدو نوعان: جهاد المال وجهاد النفس

أ - الجهاد بالمال

قدم الله الجهاد بالأموال على الأنفس فى قوله تعالى: ﴿وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ﴾ الصف ١١، وإن كانت الواو لا تقتضى ترتيباً -لحكمة، وهى أن الإنسان يحصل الأموال ويحفظها لحفظ حياته ودوام مسراته. فإذا بذل المال أولاً وهو مادة حياته ومسراته صغرت فى عينه حياته بذلاً فى سبيل الله تعالى، لأنا نجد الشرور كلها فى العالم ناتجة عن حب الأموال والمنافسة بها، فكأن المال سبب الفتن والهرج والمرج، فقدمه الله على النفس حتى يجرد المؤمنين من أسباب الفتن. ومسلم يعلم أن إخوته المؤمنين يدفعون عن أنفسهم شرور أهل الكفر بالله وظلمهم، ويدفعون عن دينهم مفاسد أعدائهم، ويمكنه أن يعينهم بفضل ماله ويبخل عليهم ليس بمسلم، وإن ادعى ذلك لأن الله تعالى يقول: ﴿وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ﴾ الصف ١١، ورتب على الجهاد النجاة. ثم عطف سبحانه النفس على المال ليقدم المؤمن ما فى وسعه من مال ونفس ليحيى سنن رسول الله ويعلى كلمة الله، ويعز إخوته المؤمنين، وبذلك يكون عاملاً لله مخلصاً، وهو الذى يرتفع إلى مقعد صدق عند مليك مقتدر فى جوار الأطهار الذين جاهدوا فى الله حق جهاده.

كل بلاء يصيب المؤمن فى سبيل الجهاد هو أكمل النعم عليه

إن الجهاد لا يكون خيراً فى الحقيقة ونفس الأمر إلا بعد العلم الحقيقى الذى يعرف الإنسان به نفسه وربه وحكمة أحكامه، حتى يتكمل بالإخلاص والصدق ويتحقق بأن كل بلاء يصيبه فى سبيل الجهاد هو أكمل النعم عليه، فيشكر الله تعالى على توفيقه ومعونته إياه على القيام بما يحبه تعالى، فتكون الآلام ملاذاً، والقتل فى سبيل الله خلاصاً من الحجب ورُقياً إلى الله تعالى، قال سبحانه: ﴿ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ الصف ١١، يشير هنا إلى الإيمان بالله ورسوله والجهاد بالمال والنفس بعد القيام بهم حق القيام، والخير هو المحبوب للنفوس الزكية. وهذه الآية أعظم آية تحث على طلب العلم وملازمة العلماء الراسخين فى العلم، لأن العلم بالتعلم والحلم بالتحلم، كأنه يقول سبحانه وتعالى: إن كنتم تعلمون حكمة الجهاد ومقداره لدى، تفوزوا بالخير الحقيقى فى جوارى، مشرفين على قدسى مواجهين بوجهى. وإنما تكون البهجة والمسرة بالشدائد بقدر العلم، ورجل يعلم أنه ليس بينه وبين الخير الحقيقى إلا طعنة رمح أو ضربة سيف فكيف يفر إلى ورائه! وحبيبه أمامه يناديه: أسرع إلىَّ تنل مشاهدة جمالى، والفوز بالنعيم فى مقعد صدق، أو فى فردوسى الأعلى.

ب - الجهاد بالنفس

والجهاد بالنفس متوقف على الجهاد بالمال، وقد شكا الفقراء قلة ذات اليد، فأمر رسول الله ﷺ أهل الثراء بالإنفاق وحثهم على ذلك، لأن أساس الجهاد وجود المال، لاحتياج المجاهد إلى الزاد والراحلة والأسلحة فأنزل الله تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ﴾ البقرة ١٩٥، والنفقة هو كل مال يصرف فى المصالح. وما صُرف فى غير المصالح يسمى إسرافاً أو تبذيراً. والظاهر أن قوله تعالى: ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ البقرة ١٩٥، أى فى الجهاد لإعلاء كلمة الله، ونشر سُنن رسول الله ﷺ. وجائز أن ننظر إلى قوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا﴾ البقرة ١٩٥، فيكون بلا قيد، وتكون النفقة التى أمر بها فى سبيله هى كل ما صرف فى المصالح الشرعية كحج وطلب علم، ونفقة على أولاد وأهل ووالدين، وعلى الضيوف والمحتاجين. لأن ذلك كله فى سبيل الله تعالى.

تعدد المفاهيم فى قوله تعالى ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾

ظاهر اللفظ فى سياق هذه الآية خاص بالجهاد، أى ابذلوا أموالكم ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة.

وجائز أن يكون قوله تعالى:﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ البقرة ١٩١، تأويل هذه الآية أى اقتلوهم عند القدرة عليهم، وتدل الكلمة على أننا لا نُقدم على القتل إلا إذا أنسنا من أنفسنا القدرة عليهم، فلا نلقى بأنفسنا إلى التهلكة من غير بصيرة، وقد كان جيش المسلمين يقاتل الروم عند القسطنطينية، وجيش الروم قدر جيش المسلمين عشرات المرات، فهجم على الروم رجل من التابعين فى الجيش فقال آخر: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ البقرة ١٩٥. فقال أبو أيوب الأنصارى ﷺ: ليس هذا المقام مقام التهلكة، نزلت هذه الآية علينا جماعة الأنصار، وإنما التهلكة أن يتأخر الإنسان عن الهجوم على العدو. وقال: إنا قد تركنا أهلنا وأموالنا أن نقيم فيها ونصلحها حتى ننصر الله ونبيه. ثم قال بعضنا لبعض سراً دون رسول الله ﷺ: إن أموالنا قد ضاعت وإن الله تعالى قد أعز الإسلام وكثر ناصروه فلو أقمنا فى أموالنا نصلحها، فأنزل الله الخبر من السماء: ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ البقرة ١٩٥، أى: تتركوا الجهاد وتقيموا بين أهليكم فى أعمال التكسب.

وجائز أن يكون المراد فى هذه الآية أن الرجل يذنب فيقول: لن يتوب الله على، ويبأس فيلقى بنفسه إلى التهلكة. وكلنا نعلم أن الله نهانا عن اليأس من روح الله وعن القنوط من رحمته، وأكثر من يلقون بأنفسهم إلى التهلكة هم الجهلاء بأنفسهم وربهم، فإن الله تعالى إنما قدر المعاصى على العبيد لينـدموا ويرجعوا إليه سبحانه منكسرة قلوبهم، ليمنحهم فضل اسمه التواب العفو الغفور، ولينالوا بالتوبة بعد الحوبة جمال اسم التواب، فيحبهم الله كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ البقرة ٢٢٢.

ولك أن تفهم فى هذه الآية، أن الله سبحانه يعلمنا أن نحافظ على ديننا وأنفسنا وأموالنا وأعراضنا وأوطاننا، فنزن أعمالنا وأقوالنا وأحوالنا بموازين الشرع الشريف، حتى نعيش فى حصون الحفظ الإلهى آمنين فرحين ومطمئنين.

تسمية البذل فى سبيل الله إقراضاً له تعالى

القرض أن يعطى الرجل لغيره مالاً يملكه ليرده إليه، إذا تقاضاه. والقرض أيضاً ما يقدمه الإنسان من حسنٍ وسئ، قال تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافًا كَثِيرَةً﴾ البقرة ٢٤٥ . ومعنى هذه الآية أن الله تعالى يتفضل ببيان ما ننال به الفوز العظيم فى الدنيا والآخرة، فيقول سبحانه: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ﴾ أى: يعين المجاهدين، فيقوى الضعيف، ويعين الفقير، ويجاهد بنفسه فيكون أقرض الله تعالى ماله ونفسه كما قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقًّا﴾ التوبة ١١١ . وكما قال سبحانه وتعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ البقرة ٢٦١. وهذه الآية بُشرى من الله تعالى لنا، لأنه سبحانه جعل ما نقدمه فى سبيل الله قرضاً اقترضه منا. ليكشف عنا به الحجاب ويشهدنا ما يجعلنا به عنده سبحانه وتعالى عندية ننال بها كما قال تعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ الزمر ٣٤.

وهذه الآية بشرى تطمئن بها قلوب المؤمنين، فإن وعد الله حق وقد وعد الله تعالى أن يضاعف لنا نفقاتنا على الجهاد أضعافاً كثيرة، فنحرص أن نبذل أنفسنا وكل مالنا، والضِعف أن ينال الإنسان ضِعف ما أنفق فى سبيل الله إلى سبعمائة ضِعف.

والقرض الحسن أن يقدم ماله ونفسه لربه ليفوز من الله بخير لا يعلمه إلا هو سبحانه، كما ورد: (ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر). وقد ورد عن ابن الدحداح رضي الله عنه، أنه أتى إلى رسول الله ﷺ فقال: (يا رسول الله إن الله يستقرضنا؟ فقال: نعم يا أبا الدحداح، فقال أقرضت ربى حائطاً لى فيها ستمائة نخلة).

وقال بعض العلماء: إن الله أعطاكم الدنيا قرضاً، وسألكموها قرضاً، فإن أعطيتموها طيبة بها أنفسكم، ضاعف لكم ما بين الحسنة إلى عشرة إلى سبعمائة إلى أكثر من ذلك.

❊ ❊ ❊

الباب الثانى

أهداف الجهاد

أولاً القتال للمعاملة بالمثل

وهنا مفهوم قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ البقرة ١٩٤.

اختلف العلماء فى معنى هذه الآية، فقال بعضهم: هى مكية، ويكون المعنى: فمن اعتدى عليكم بالسب أو القذف فاعتدوا عليه بمثل الذى اعتدى عليكم، ويكون الأمر من الله بالاعتداء عليهم أمراً بمجازاتهم بمثل عملهم أو قولهم، فلا يكون اعتداء أو ظلماً، لأن الاعتداء من المشركين ظلم ومحاربة لله ورسوله، والاعتداء منا مجازاة لهم على سوء عملهم. وإنما سُمى اعتداء مقابلة وإلا فهو عدل، والله لا يحب العدوان كما قلنا ـ ولو على الظالم ـ والعدوان هو ظُلم من لا يستحق الظُلم.

وقال بعضهم الآية مدنية، ويكون المعنى: فمن قاتلكم من المشركين فقاتلوهم مع رعاية العدل الذى يحبه الله تعالى، والمحافظة على البيان الذى بينه سبحانه فى قوله: ﴿وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ وَٱلۡأَنفَ بِٱلۡأَنفِ وَٱلۡأُذُنَ بِٱلۡأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلۡجُرُوحَ قِصَاصٞۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٞ لَّهُۥۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٤٥﴾ المائدة ٤٥.

واتقوا التساهل مع المشركين والاستسلام لهم، وتعدى حدود الله معهم بالغلو فى المؤاخذة، حتى تكونوا أطعتم أمر الله فتفوزوا بمراضيه وبنصرته لكم وتأييده. وتتحققوا بمعية الله بتأييده ونصره وتمكينه لكم فى الأرض بالحق. وفوزكم يوم القيامة بما أعده لكم من الفضل العظيم والرضوان الأكبر، وما بشر الله تعالى قوماً بمعيته إلا منحهم محبته، وما منح قوماً محبته إلا تفضل عليهم فآنسهم بشهود جماله العلى فى مقعد صدق عند مليك مقتدر. وقد شرحنا مقام أهل معية الله فى كتاب " الفرقة الناجية" وغيره من كتبنا.

ثانياً القتال لدفع العدوان

أمر الله تعالى بالجهاد تخفيفاً علينا فقال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ البقرة ١٩٠.

فإنه شرط سبحانه ألا نقاتل إلا من قاتلنا، ونهانا عن الاعتداء فى القتال وبعده، ثم شدد علينا ألا نعتدى. وهذه الآية نسخت بقوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ﴾ التوبة ٣٦.

وفى قوله سبحانه: ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ البقرة ١٩٠، دليل على أن القتال لا يصح إلا فى سبيل الله، حتى ولو كان للإصلاح بين طائفتين من المؤمنين. لأن القتال لم يُشرع إلا فى سبيل الله، وسبب نزول هذه الآية: أن رسول الله ﷺ لما توجه إلى مكة فى غزوة الحديبية بالعمرة، منعه المشركون وتعاهد معهم على أن يعتمر فى تلك المرة ويرجع فى السنة المُقبلة إلى مكة، وهم يخلونها له ﷺ فاستعد رسول الله ﷺ فى سنة سبع من الهجرة، لأن غزوة الحديبية كانت فى سنة ست من الهجرة، وعزم رسول الله ﷺ على أن القوم إذا منعوه قاتلهم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ﴾ البقرة ١٩٠، والحقيقة أن الله تعالى قد يقدر الاعتداء فيقع ولكنه لا يأمر به، ومعنى ﴿لَا يُحِبُّ﴾ البقرة ١٩٠، أى: لا يأمر، وبذلك لا يرد هذا الاعتراض .

وهنا يتحقق أن الفاعل المختار هو الله تعالى، فما كان هدى ونور فهو إرادته وأمره، وما كان ضلال وظُلم فهو إرادته ونهيه، ومعنى قوله تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ البقرة ١٩٠، أى لا يحب الاعتداء وإن قدره، ومن وقع فيما يكرهه الله تعالى مما نهى عنه، فإن الله تعالى يكرهه. والأشخاص لايُحبون ولايُكرهون، وإنما المحبوب صفاتهم وأعمالهم التى قدرها الله تعالى عليهم، فإن الله إذا أحب عبداً أجرى الخير على يديه وأقامه فيما يحبه ويرضاه، وإذا كره الله عبداً أجرى الشر على يديه، وأقامه فيما يكرهه ووضع له البغضاء فى السماء والأرض، عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: (إِذَا أَحَبَّ اللهُ عَبْداً نَادَى جِبْرِيلَ إِنِّى أُحِبُّ فَلاَناً فَأَحِبَّهُ، فَيُنَادِى جِبْرِيلُ فِى أَهْلِ السَّمَاءِ، إِنَّ اللهُ يُحِبُّ فَلاَناً فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِى الْأَرْضِ، فَلاَ يَرَاهُ أَحَدٌ إِلاّ أَحَبَّهُ. وَإِذَا كَرِهَ اللهُ عَبْداً نَادَى جِبْرِيلَ...)

الحديث ففى هذه الآية دليل على أن الله لا يحب أعمال المعتدين، فيبغضهم لعملهم.

ثالثاً القتال لكسر شوكة الكفر

إن الله تعالى يأمرنا أن نقتل أهل الكفر به سبحانه إن قاتلونا مع رعاية التمكين منهم والتغلب عليهم فى قوله تعالى:﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ البقرة ١٩١، وهذه الآية متصلة بما قبلها، ويقال: ثقفه، أى: وجده مؤهلاً للأخذ والتغلب عليه، وفى هذه الآية بيان من الله أن نأخذ الحذر منهم بإعداد العُدة والعدد واثقين بتأييد الله ونصره.

رابعاً القتال لمن أخرجونا من ديارنا وأموالنا

يذكرنا ربنا بعمل قريش برسول الله ﷺ وبالمهاجرين من أصحابه فى مكة، حيث أخرجوهم للهجرة بتضييقهم عليهم ومناوأتهم لهم، حتى خرجوا من ديارهم ويريد الله تعالى أن ينتقم من قريش بالمهاجرين الذين أخرجوهم من ديارهم وأموالهم، فيثأر لهم من أهل مكة فيقول تعالى: ﴿وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾ البقرة ١٩١، وهذا ما توعدهم الله به فى الدنيا، ولعذاب الآخرة أشد وأنكى، والخطاب لرسول الله ﷺ هو وأصحابه.

خامساً القتال لمن يفتن المسلمين عن دينهم

الفتنة فى اللغة: وضع الذهب فى النار ليتمحص. وهو الابتلاء فى الدين أو فى النَفْس أو فى المال والعرض. والمُراد هنا من الفتنة رجوع المسلمين إلى الكفر بعد الإيمان، قال تعالى: ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ البقرة ١٩١، يعنى أن قتل المسلم أخف بكثير من رجوعه إلى الكفر وخلوده فى النار، فالله تعالى يعلمنا أن الفتنة التى هى الكُفر أشد بكثير من القتل. خصوصاً فى زماننا هذا بما يقوم به مستعمرو أوروبا كفرنسا وغيرها، من قهرالمسلمين على النصرانية بسبب ما ينشرونه من الأباطيل، وما يقومون به من الانتقامات الفادحة، كل ذلك بين الله لنا أنه أكبر من أن نُقتل فى سبيله، ولأن نُقتل فى سبيله على الإسلام ونفوز بالسعادة الدائمة فى جوار الأخيار، خير من أن نُفْتتن فى ديننا فنرتد إلى الكفر حُباً فى متاع الدنيا الزائل.

❊ ❊ ❊

حقيقة المرتد عن دين الإسلام

كشف الله لنا الحقيقة مبيناً أن المرتد عن دينه الحق لم يكن عليه بالحقيقة، لأن بشاشة الإسلام إذا باشرت القلوب هشت لها وبشت، ونظرت القلوب بعيون الإيمان إلى حقيقة وعد الله ووعيده، فأبت أن ترتد عن الإسلام ولو مشطت جلودهم بأمشاط الحديد المحماة بالنار، لأن عيون الإيمان تشهد ما فوق المادة من الغيب المصون. كشف الله تلك الحقيقة بقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ﴾ البقرة ٢١٧، ردة أى: رجوع إلى مقتضى جوهر النفس الإبليسية المفطورة على الكفر بالله، بعد أن أسلم إسلام مقهور على الإسلام، بالطمع والرغبة أو إسلام تقليد لآبائه، فلما بلغ أشده دعاه خبث النفس إلى الكفر الذى هو مقتضى حقيقة النفس، وبقى على الكفر حتى مات عليه. دل ذلك على أنه كان فى إسلامه كافراً، لأن بشاشة الإسلام لم تباشر قلبه لعقده على الكُفر.

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ البقرة ٢١٧، لأن أعمالهم القلبية الإسلامية مفقودة بالمرة، وأما أعمالهم الجسمانية التى لم تكن صادرة من القلب فإنها لاقيمة لها؛ قال الله تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ الزمر ٣.

وقال ﷺ: (إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى فَمَن كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ؛ وَمَن كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَو امْرَأَةٍ يَنكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ).

ومعنى حبطت أى: هلكت فى الدنيا، لأنهم بالردة يجب قتلهم شرعاً؛ ومعاملتهم بالشدة والجفاء والقتل ـ كما هو حكم المرتد شرعاً ـ وفى الآخرة معلوم سوء مآلهم: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ البقرة ٢١٧، حكم من الله تعالى عليهم بأنهم يخلدون فى النار أبد الآبدين، أعاذنا الله تعالى منها.

حكم من ارتد بباعث قهرى

أما من ارتد بباعث قهرى، يسوغ له أن يقول كلمة الكُفر بغير قلبه، أو ارتد مؤثراً عليه

ثم تداركته العناية فأنقذه الله من الكفر إلى الإيمان، فإن ذلك يدل على أنه مؤمن من الأزل، وأن رِدته لم تكن حقيقية، وأنه يفوز يوم القيامة بجزاء أعماله كلها إذا مات على الإيمان. وهذا مأخوذ من قوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ﴾ البقرة ٢١٧، أى: من ارتد وداوم على الردة حتى مات يخلد فى النار، وأما من ارتد فرجع إلى الإيمان، فإن الله سبحانه وتعالى لا يضيع أجره.

سادساً القتال من أجل المستضعفين

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾ النساء ٧٥.

ينكر الله تعالى على المؤمنين إهمالهم فى الجهاد فى سبيل الله وفى سبيل المستضعفين من الرجال والنساء والولدان، ثم وصفهم الله بوصف يثير العواطف ويقوى العزائم، فقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا﴾ النساء ٧٥، أى: يسألون ربهم أن يخرجهم من مكة التى ظلم أهلها أنفسهم بالشرك بالله وبظلم المسلمين المستضعفين فيها، والمراد بإخراجهم منها وصولهم إلى المدينة المنورة، ويقولون أيضاً: ﴿وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾ النساء ٧٥، يتولى أمورنا فيدفع عنا شر المشركين وقهرهم لنرجع إلى دينهم ونفارق الإسلام: وكان أهل مكة يؤذون المؤمنين أذية فادحة ليردوهم عن الإسلام. إذن ﴿وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾ النساء ٧٥، أى: كن أنت وليا لنا فاعصمنا من المشركين: ﴿وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾ النساء ٧٥، أى: ناصراً ينصرنا على أعدائنا بما تعطيه من القوة، فاستجاب الله دعاءهم وفتح رسول الله ﷺ مكة عنوة وأقام فيها (عتاب بن أسيد) والياً، فأعز الله المستضعفين وأظفرهم، فكان رسول الله ﷺ ولياً لهم، وعتاب بن أسيد ناصراً لهم.

وهكذا يكون أهل الإيمان بالله الذين عذبوا فادح العذاب ليرتدوا عن الإسلام، وصبروا حتى نصرهم الله وأعزهم ومكن لهم فى الأرض بالحق، أسأل الله أن يعيد لنا هذا المجد يقيناً وهمة وإقبالاً على الله وعزيمة، فنعيد المجد الذى كان لسلفنا الصالح بعناية الله وحسن توفيقه.

سابعاً القتال حتى يكون الدين لله

إن الله تعالى يأمر النبى ﷺ وأصحابه أن يقاتلوا المشركين من غير قيد ولا شرط حتى لا تكون فتنة، أى: لا يوجد مشرك بالله أو لا توجد له قوة ولا عصبة، قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾ البقرة ١٩٣، ومعنى لا تكون فتنة، أى: لا يكون كفر بالله، ومعنى: ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾ البقرة ١٩٣، على المعنى الأول: أن يكون كل العالم الذين يمكنهم الله منهم من أهل الشرك مؤمنين، وعلى المعنى الثانى: حتى يذلوا ويخشعوا ويتظاهروا بالإسلام ولو نفاقاً كمن كانوا من المنافقين فى المدينة.

فإن رجعوا عن القتال والكفر بالله إلى السلام والإسلام، فأنزلوهم منكم منزلة أنفسكم ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ البقرة ١٩٣، أى: فلا تعتدوا إلا على من لم ينتهوا منهم، والله تعالى لا يحب العدوان ولا يأمر به، ومعنى العدوان هنا أى: الجزاء بمثل العمل، والظالمون هم المشركون، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ لقمان ١٣.

الباب الثالث

حكمة الجهاد وشروطه وآدابه

الفصل الأول

حكمة الجهاد

أولاً دفع المظالم

إن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان مكوناً من عناصر متضادة ومن نفوس مختلفة، فعناصره التى هى أركان الوجود الماء والهواء والنار والتراب، والنفوس المختلفة هى النفوس الشهوانية والسبعية واللطيفة الملكوتية. فإذا قوى عامل الشهوة وتسلط عامل الانتقام وتحكم، كان عبداً لنفسه الأمارة بالسوء. وإذا هداه الله ووفقه فقويت اللطيفة الملكية كان روحاً عالياً فوق ملائكة السماء، وكانت النفس الشهوانية والسبعية جاذبة له إلى نيل رضوان الله الأكبر، بما يقوم به من مجاهدة النفس الملكية لها، وبما تقومان به من المسارعة معه إلى الجهاد الأكبر فى سبيل الله، وإلى الورع عما يكرهه الله تعالى فيكون أعظم مجاهد. قال ﷺ: (رَجَعْنَا مِنَ الْجِهَادِ الْأَصْغَرِ إِلَى الْجِهَادِ الْأَكْبَرِ جَهاد النَفْس).

وليس من قُتل بين الصفين كمن قتلت لطيفته الروحانية نفسه الشهوانية والسبعية، وإن المجندل بين الصفين قد تكون نيته الغنيمة أو الشهرة أو السيادة، بخلاف الذى يجاهد حظه وهواه فى ذات الله تعالى، فإنه مُخلص قلباً وقالباً، سالك على الصراط المستقيم، مقتد برسول الله ﷺ، وليس بينه وبين ربه إلا رسول الله. فالإنسان بما فُطر عليه وتَكَون منه، لا يمنعه عن الشرور الفادحة إلا سوط النقمة أو سلطة الظالم. ولذلك فإن الله سبحانه إذا منح عبداً سلطة أو قوة وتمكيناً فى الأرض ونسى أصله، سلب الله منه الراحة والأمن وسلط عليه ظالماً جباراً، يسومه الخسف حتى يشغله عن ظلم الناس، فإما أن يرجع إلى الله ويتوب فينصره ويؤيده، وإما أن يزداد طغياناً وظلماً فيسحقه الله ويقهره.

وهذا معنى قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ البقرة ٢٥١.

يعنى أن الله تعالى قد يمكن للظالم حتى إذا طغى وبغى سلط عليه من هو أظلم منه، فيسلب ما بيده من قوة وحول ليستريح العباد من ظلمه، ومن أراد الله له السعادة ـ ولو صرفه فى ملك السماوات والأرض ـ لا يزداد إلا تواضعاً لله ورحمة بعباد الله وشكراً له سبحانه على ما أنعم به عليه، فيزداد إلى أن يُنعم عليه بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. ومن سبق فى علمه سبحانه أن يجعل نعمة الله كفراً فيستعين بنعمة الله على غضب الله وظلم عباده، فلا يمكث إلا ريثما ينتقم الله منه بظالم غيره، قال ﷺ: (إِنَّ اللهَ لَيُمْلِي لِلظَالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ).

ومن نظر إلى حالتنا الحاضرة من تسليط أعداء الله على المجتمع الإسلامى بعد أن كانوا عبيداً يباعون فى أسواقنا، يتحقق أن سلب الله لنا هذا المُلك كان بسبب ظلم من مكن الله لهم فى الأرض. أسأله سبحانه أن يعلى كلمته ويجدد سُنن نبيه حتى يعود لنا التمكين فى الأرض كما كان لسلفنا الصالح.

ولولا أن الله تعالى يحب إصلاح شأن عباده وحالهم، لمكن الظلمة منهم فاقتدوا بهم، فمحقهم محق قوم عاد وثمود، ولكنه جل جلاله يسلط أعداءه على من خالفه، كما قال ﷺ: قال تعالى: (إِذَا عَصَانِى مَنْ يَعْرِفُنِى سَلَّطْتُ عَلَيْه مَنْ لَمْ يَعْرِفْنِى). وهى سُنته سبحانه. واقرأ صحائف التاريخ، وما كان لبنى إسرائيل من المصائب على يد بختنصر والروم والإفرنج إراحة لعباده من ظلم الطغاة المتسلطين، وعسى أن يتذكر إخواننا المسلمون ذلك فيرجعوا إلى الله تعالى ليعيد الله لنا مجد أسلافنا الصالحين، فإن الله نصرنا سلفاً بالتقوى. ورفعنا بالإسلام والمحافظة على فرائضه وسُننه. فلما اختلفنا وتركنا شرائع ديننا سلط الله علينا من كانوا عالة علينا وأرقاء لنا، ومنحهم علم الصناعات والفنون والكيد والخبث، إما ليؤدبنا ويرجعنا أو لينتقم منا ويمحونا ـ أعاذنا الله بوجهه ـ وإنا لنطمع أن يجعل الله بعد هذا الظلم والظُلمة عدلاً ونوراً يملأ الأرض بعد أن مُلئت ظُلماً وجُوراً وما ذلك على الله بعزيز.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ البقرة ٢٥١، يعنى أن الله سبحانه يدفع الظالم عن ظلم عباده بالظالم من خلقه سبحانه، فيتفضل على خلقه بما له من أسماء الجمال الكثيرة التى

عددها فيما نعلم سبعون، وأسماء جلاله وعددها تسعة عشر اسماً، فهو لما له من الجمال العليِّ يتفضل ويحسن ويغفر ويستر ويعفو ويكرم. وبما له من الجلال والكبرياء يعدل فى عباده فينتقم من الظالم بالظالم، ثم ينتقم من جميع الظلمة يوم القيامة. ويحسن إلى أهل محبته فى الدنيا بالتوفيق والهداية والسمع والطاعة والصبر على ما قدره الله وما أمر به إليه والرضا بأقداره. ثم يحسن الإحسان الأكبر يوم القيامة فينيل الرضوان الأكبر وهو الفاعل المختار لا شريك له.

ثانياً تحقيق الرحمة العظمى

معلوم أن الله بعث محمداً ﷺ رحمة للعالمين، وكان مقتضى الرحمة أن لا يجرى الله على يديه إهراقاً للدماء ولا انتقاماً من الأعداء، ولكنى أقول لك: إن الجهاد وإهراق الدماء من الأعداء هو الرحمة العظمى للعالم أجمع، لأن المشركين بعد إقامة الحجة وظهور الدلائل على التوحيد، وبيان مناهج الله تعالى التى بها نيل السعادتين، يكون المنكر لها والصاد عنها والمعاند لها، ليس فى الحقيقة من بنى الإنسان، وإن ولد من والدين آدميين، فإن المعتبر هنا النفوس لا الأجسام. والنفس الإبليسية الخبيثة إذا منحت الجنود المطيعة كالسمع والبصر والشم واليدين والرجلين والعقل الإنسانى، كانت شراً على المجتمع من الشيطان الرجيم، وأضر عليه من الوحوش المفترسة، لأنها توقع الناس فى الإفساد فى الأرض بالباطل، وبإهلاك الحرث والنسل، وكل ما يتولد منها يكون شراً منها، والرحمة استئصالهم من على وجه الأرض.

فإن الواجب على كل مسلم إذا استطاع أن يقتل الوحش الكاسر والثعبان القاتل وتركهما، وقع فى خطيئة كبرى، مع أن الوحش الكاسر والثعبان القاتل نهاية ضررهما إهلاك رجل بالموت والموت لابد منه، أما هؤلاء الأناس الذين خبثت نفوسهم، يهلكون الناس فى الدنيا والآخرة فالهلاك بهم شر مستطير، واستئصالهم هو الرحمة، ونحن نرى أن سيدنا عيسى عليه السلام قال: (بُعِثْتُ بِالسَّلْمِ) فأهلك الله كل من ادعى اتباعه، لأن النفوس الخبيثة بقيت مزدوجة مع النفوس الطيبة، فأوقعها خبثها فى الكفر الصريح باتخاذ عيسى ابناً لله، تنزه الله

تعالى عن الولد والوالدة. والحكمة بتر العضو الذى يفسد الجسم، وبتره هو الرحمة. والكفر مرض وبئ فى المجتمع، يجب على أهل الإسلام استئصال المشركين منهم، والضرب على أيديهم، لتمنعهم الذلة عن الظهور بالباطل على أهل الحق، فسيف الإسلام المسلول على أعناق أهل الكفر بالله وأهل الظلم والتعدى، هو المشرط فى يد الحكيم الرءوف الرحيم الذى يحرص على سلامة الجسد ليعيش نافعاً فينال السعادتين.

❊ ❊ ❊

الفصل الثانى

شروط الجهاد

أولاً أن نقاتل فى سبيل الله

يأمر الله المؤمنين من لدن محمد رسول الله ﷺ إلى يوم القيامة بأن يقاتلوا من أوجب علينا قتالهم بعد أن بين الله لنا ما بين، من أنه سبحانه بيده ملكوت السماوات والأرض يحيى من يشاء ويميت من يشاء بقتال وبغير قتال. وأنه يحيى من أمات بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ يس ٨٢، فمن قدر له النسيئة فى عمره، وخاض ميدان القتال خرج سالماً ظافراً. ومن قدر عليه الموت وحصن نفسه بكل الحصون مات رغم أنفه. وأمر الله لنا بالقتال لحكم علمها من علمها وجهلها من جهلها، منها أن يكون قتلنا فى سبيل الله حياة باقية عند ربنا يرزقنا الله بها فى كل نفس رزقاً جديداً، وذلك الرزق هو ما يتفضل الله به علينا من جزاء أعمال من جاهدناهم فأسلموا وعملوا بالكتاب والسنة، أو من جاهدناهم فسلم الناس من ظلمهم ومن التظالم لهم. ويرزقنا الله تعالى عوضاً عما بذلنا فى سبيله خيراً مما كان لنا، فيمنحنا نفخة القدس التى نشهد بها علىّ جماله فى الأفق الأعلى، وروحاً عالية ملكوتية نشهد بها جلىّ آياته فى الأفق المبين، بل وتكون أرواحنا فى عليين. فإذا كان يوم البعث جعل الله لنا أجنحة نطير بها إلى مقعد صدق عند مليك مقتدر.

وهذه العطايا يتفضل الله بها على من استشهد بين الصفين، حاضر القلب مسارعاً إلى لقاء ربه فرحاً بمفارقة كون الفساد.

يقول الله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾ البقرة ٢٤٤، أى: وقاتلوا فى دين الله ليكون الدين كله لله، فيتحقق المجاهد بنيل تلك المنزلة العالية، بأن يكون مجاهداً بقلبه وجسمه وماله وآله، لا يخطر على قلبه رغبة فى غنيمة أو سيادة أو فخر أو رياء أو نعرة حزبية، بل تكون كل قواه التى تكون منها مستغرقة فيما وجه وجهه إليه من نيل رضوان الله الأكبر، وإعلاء كلمته وتجديد سنة نبيه محمد ﷺ.

وتيقنوا أن الله يسمع كلام أنفسكم من خواطرها وواردتها ونواياها فلا يخفى عليه شئ، عليم سبحانه وتعالى بما تكنه قلوبكم وما تجترحه جوارحكم، وعليم سبحانه بهمكم وعزائمكم، فيتفضل على من سمع وأطاع بإحسانه فى الدنيا بالنصرة والغنيمة، وفى الآخرة بالفوز بالنعيم المقيم فى جوار الأخيار، أو يجازى من خالف أوامر الله تعالى ووقع فى نواهيه بالخذلان والخيبة فى الدنيا وبالعذاب الأليم يوم القيامة.

ثانياً أن نأخذ من هزائم الأمم السابقة عبرة وعظة

إن من خالفوا سنة أنبيائه وعصوا أوامر الله يسلط عليهم أعداءه وأعداءهم حتى يستعبدوهم، كما فعل المسلمون فى هذا العصر من مخالفة سنة رسول الله وترك العمل بكتاب الله، فسلط عليهم فى كل بقاع الأرض أعداءه الإفرنج وأعداءه المجوس وغيرهم، وصار المسلمون لخروجهم عن الكتاب والسنة شيعاً كما حصل لبنى إسرائيل فى قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰٓ إِذۡ قَالُواْ لِنَبِيّٖ لَّهُمُ ٱبۡعَثۡ لَنَا مَلِكٗا نُّقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ قَالَ هَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُواْۖ قَالُواْ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدۡ أُخۡرِجۡنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبۡنَآئِنَاۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ تَوَلَّوۡاْ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ البقرة ٢٤٦، فهذه الآية أنزلها الله تعالى تهديداً لمعاصرى رسول الله ﷺ من يهود بنى إسرائيل من أهل خيبر والنضير وقينقاع، وبشرى لأهل الإيمان ليحثهم الله بها على الوفاء بما عاهدوا الله عليه من بيع النفس والمال له سبحانه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ

﴿ٱلْجَنَّةَ﴾ التوبة ١١١، ومن باع السلعة كيف يرجع فيها!

وما من آية نزلت فى بنى إسرائيل، تدل على أن الله غضب على أمة من الأمم بسبب عمل من الأعمال، أو رضى عنها بسبب ما قاموا به من السمع والطاعة لله ولرسوله إلا وجرت بذيلها الأمة الإسلامية. فقد كنا فى زمن سلفنا الصالح نملك من غلمان أوروبا وفتيانها كثيراً، نشتريهم من أسواقنا، وكان لنا الحول والطول أيام كنا نعمل بأحكام ديننا، فلما أن خالفنا سنة نبينا ونسينا أوامر ربنا وأخذنا بالحظ والهوى والرأى، سلط الله علينا من كانوا لنا عبيداً يباعون فى أسواقنا، فأصبحنا أذل من العبيد، ولأننا بمخالفة الله ورسوله أصبحنا أعواناً لهم على أنفسنا، فلا ترى مسلماً يتذوق طعم الرحمة لأبيه أو لأخيه أو لأمه، حتى أصبح أعداؤنا يسلبون مرافق حياتنا، ويضربوننا ببعضنا، وكلما أردنا أن نتحد على العمل بكتاب الله وسنة رسوله، قام العدو بخيله ورجله فمنىَّ منا قوماً، ووعدهم المساعدة والنصرة والتأييد فقاموا يضربون وجوه بعضهم بعضاً، حتى إذا أضعفوا أنفسهم، وضع نعاله فوق رؤوس عظمائهم وكبرائهم فأصبحوا حثالة لا يستجيب الله دعاءهم إذا دعوا، ولا ينظر إليهم إذا جاءوا، ولا يرحمهم إذا ذلوا، قال أبو هريرة ﷺ: (إِنَّمَا يَسْعَدُ آخِرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ بِمَا سَعِدَ بِهِ أَوَّلُهَا).

وقد أصبح الدعاة للحق بالحق قليلين جداً، وأصبح المنتحلون الدعوة إلى الله أضر على المسلمين من الشيطان الرجيم، لا يخافون الله ولا يرجون اليوم الآخر، ملأ الحسد قلوب العلماء، وأفسد الظلم قلوب الولاة والأمراء، أذلت الخيانة أنفس التجار، وأفسد الكيد النساء. حتى أصبح العلماء فى مصائد إبليس بالحسد، والحكام فى مصائده بالظلم، والتجار فى مصائده بالخيانة، والنساء فى مصائده بالكيد، قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ سبأ ١٣، وتلك سُنة الله فى خلقه من لدن آدم. فإن الذى أفسد آدم وهو فى الجنة، كيف يعجز أن يفسد من أحاطت به الفتن والمصائب؟ وفى هذه الآية تهديد من الله تعالى لجميع خلقه الذين يظنون أنهم فى ستر لا يراهم أحد، ويقعون فيما يغضب الله، ويجهلون أن الله عليم بهم، أو ينسون ذلك. ومتى راقب العبد ذلك العليم الخبير القريب، الذى هو أقرب للعبد من حبل وريده، دلت تلك المراقبة على خوفه من الله وعظيم قربه منه، ولو ربط الحجر على بطنه

جوعاً. ولو فقد تلك المراقبة مع ما فيه من القوى المتضادة الدافعة إلى العلو والكبرياء فى الأرض، وطلب الغنى والمنافسة، لا يجد حصناً حصيناً يدفع عن نفسه شرورها إلا بما يمن الله به على العبد من تلك المراقبة.

من الله علينا بحسن مراقبته فى أحكامه وبكمال مراقبته فى جلاله، حتى نكون له كما يحب، كما أنه سبحانه لنا كما نحب.

ثالثاً أن نحافظ على الصلوات حتى فى وقت الفزع الأكبر

بعد أن أمرنا الله بالمحافظة على الصلوات والصلاة الوسطى بين لنا كيف نحافظ على الصلوات فى وقت الفزع الأكبر عند التحام الصفين فقال سبحانه: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ۖ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ﴾ البقرة ٢٣٩، أى فإن خفتم من عدو غاصب أو متغلب وقمتم لدفعه مجاهدين فى سبيل الله، ففى وقت الملحمة حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى، رجالاً أو ركبانا، يعنى أن الرجل منكم وهو ماش فى الملحمة يصلى الظهر والعصر والعشاء ركعتين ركعتين بالإيماء، إلا أنه يخفض للسجود أكثر من الركوع، مولياً وجهه حيث كان الشأن الداعى. ففى قوله: ﴿فَرِجَالًا﴾ البقرة ٢٣٩، أى مشاة و﴿رُكْبَانًا﴾ البقرة ٢٣٩، أى على ظهور الخيل، أو وقوفاً خلف المدافع وفى أيديكم السيوف والمسكتات (البنادق) ، أو الرماح والحراب.

وفى قوله تعالى: ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ﴾ البقرة ٢٣٩، صورتان.

الصورة الأولى: النصرة على الأعداء، ونيل الغنيمة والأسرى، وفى هذا يعود الأمر إلى ما كان عليه قبل الفزع، فنصلى كما علمنا الله جل جلاله فى حالة الأمن.

والصورة الثانية: ولم يذكرها المفسرون ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ﴾ البقرة ٢٣٩، أى: رجع العدو عنكم إلى مرابطه فإن الواجب شرعاً أن يقسم الإمام الجيش قسمين: قسم يقف على جبهة الجهاد، وقسم ينصرف معهم فيقيم بهم الصلاة.

فإن كانت صلاة ثنائية كصلاة السفر، صلى بالقوم ركعة وأطال الوقوف، حتى يتم مَنْ

خلفه الركعة الثانية، ويسلموا وينصرفوا إلى الواقفين على جبهة الجهاد، فيدركون الإمام واقفاً فيصلون معه ركعة، ويسلم الإمام ثم يقومون فيأتون بالثانية أفذاذاً.

وإن كانت الصلاة رباعية، صلى الإمام بالنصف الأول ركعتين، ووقف مطيلا الوقوف حتى يتموا الركعتين الثانيتين، وينصرفوا إلى المرابطين على الصف فى الجبهة، فيسرعون إلى الإمام ويدركون معه الركعتين الثانيتين له الأولتين لهم، عملاً لا قولاً فإذا سلم الإمام وقفوا فأتوا بالركعتين الأولتين قولاً، الأخيرتين عملاً، وسلموا، فإن كانت الحكمة تقضى باتصالهم بإخوتهم المرابطين، أسرعوا لهم. وإن لم يكن ثم فزع، استراحوا إلى أن تنتهى المدة المعينة لهم عرفاً.

رابعاً أن نطيع القائد ونبتعد عن الشهوات

لما أجمع بنو إسرائيل على أن يخرجوا لقتال العمالقة أراد الله أن يكشف لطالوت خبايا القوم ليعلم من يصدق معه فى القتال ممن ينقلب على عقبيه ليخرج معهم مطمئن القلب، وكان قبل خروجه احتاط لنفسه فقال: لا يخرج معى من بنى بيتا ولم يتمه، ولا من تزوج ولم يدخل بزوجته، ولا مشتغل بتجارة، ولكن يخرج معى الشباب الناهض.

فخرج معه ممن اختارهم ثمانون ألفاً أو أقل كما ورد. وأراد الله تعالى أن يمحص القوم حتى لا يكون مع طالوت إلا من يثق بهممهم وعزائمهم ورغبتهم فى نيل ثواب الله تعالى وعلمهم بفناء الدنيا فقال تعالى: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ﴾ البقرة ٢٤٩، وفى تلك الآية سر غامض يتذوقه أهل الورع من المسلمين، لأن الله سبحانه وتعالى قد يهب العبد بسطة فى الرزق، ويكون العبد ورعاً زاهداً فيكتفى بالقليل من القوت مع قدرته على الشهى اللذيذ، لأن تلك الآية الشريفة تدل على أن الله يحب من عباده أهل الورع والزهد.

فإنه تعالى يقول:﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي﴾ البقرة ٢٤٩، وهم فى أشد ما يكون من الظمأ من حرارة الصيف، فيكون امتناعهم عن الشراب مع توفر الدواعى دليلاً

على ورعهم ووقوفهم عند أمر الله تعالى، وتكون إطاعتهم لحظوظهم ونفوسهم الشهوانية، دليلاً على أنهم يحقرون أوامر الله، ويجعلون الحكم منهم عليهم، والله تعالى تنزه عن أن تراه الأبصار أو تدركه العقول، ولكن ظهر لعباده فى أمره ونهيه، فتعظيم الله محصور فى تعظيم أمره، ومن أهان الأمر أهان الآمر.

فرجع اليهود إلى عادتهم من مخالفة الأنبياء والمسارعة إلى أهوائهم وحظوظهم، لذلك فإن الذين شربوا من النهر حرموا التوفيق والهداية ونصرة الله ونبيه، ومن امتنعوا حظوا بالصدق وبالنصرة والظفر وبالغنيمة وبالجنة يوم لا ينفع مال ولابنون. نسأل الله أن يعيذنا من الابتلاء ومن الدخول فى التجارب.

خامساً أن نعتقد بأن العدد القليل المؤمن خير من الكثير الغير مؤمن

بين الله لنا أهل الإيمان وحسن الظن به سبحانه هم الذين قال فيهم: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَـٰقُوا۟ ٱللَّهِ﴾ البقرة ٢٤٩، لأنهم يعلمون علم يقين مؤيد بلقاء الله تعالى حتى كأنهم يشاهدون قوته وقدرته سبحانه على إهلاك أعدائهم، وفى قوله: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ البقرة ٢٤٩، دليل على انبلاج الحقائق لقلوبهم حتى تحققوا إطلاق قدرة الله، وكمال ملكه المطلق على عبيده، ودرسوا تاريخ الأنبياء والملوك السابقين من أسفار نوح، والخليل، ولوط، وهود، وشعيب، وموسى، وغيرهم صلوات الله وسلامه عليهم، فكان العلم بتاريخ الأوائل مع نور الإيمان الذى جعله الله فى قلوبهم يجعلهم على يقين تام بنصرة الله لهم لأنهم قاموا لنصرته سبحانه قال تعالى: ﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ محمد ٧، ومعنى الآية: كثير من فئات قليلة العدد والعدد غلبت فئات كثيرة العدد والعدد، وذلك بإذن الله، أى: بتقديره تعالى وقوته ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ أى: ونصرة الله وتأييده وقوته مع الصابرين الذين ملأوا قلوبهم يقيناً، فألقوا بأنفسهم أمام العدو القوى غير مبالين بما يصيبهم فى سبيل الله.

سادساً: أن ننصر الله على أنفسنا

يقول الله تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ الحج ٤٠، يظهر لى هنا ـ والله أعلم بمراده ـ أن المسلم ينصره الله على نفسه بقبول توحيده وتصديقه لرسوله ﷺ ومحافظته

على عبادته مع الرضا عنه سبحانه وتعالى فيما قضى وقدر، قاهراً نفسه إذا هى نازعته أو شذت منه، حتى يسلم لرسول الله ﷺ تسليماً، ولا يكون ذلك للمؤمنين إلا بمعونة الله وتوفيقه. ومتى جمل الله المسلم بهذا الجمال أقامه مقام العامل له سبحانه، ومنحه الهمة والغيرة لله مجاهداً فى سبيل الله أعداءه الخارجين عنه بعد مجاهدة أعداء الله فى نفسه. فينصره الله تعالى ويمكن له فى الأرض ويهب له العزة التى وعده بها فى القرآن ومن نصرة الله، نصرة رسول الله ﷺ وهى قهر النفس على العمل بوصاياه والتشبه به ﷺ حتى يكون أشبه الخلق به صلوات الله عليه، وبذلك يكون صورة محمدية كاملة يسخر الله له بها ملكه وملكوته فيلبيه إذا دعاً، ويجيبه إذا سأل، ويغنيه عن شرار خلقه، وينفعه وينفع به فى الدنيا والآخرة، وكفاه نصرة من الله تعالى ما بشره به الله سبحانه فى القرآن.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ الحج ٤٠، أى: ينفذ ما قضاه سبحانه بقوة وبطش لا يعجزه شئ، فلا يحتاج سبحانه فى إهلاك أعدائه إلى معين من عباده من جيش أو آلات حربية أو سياسة أو تدبير، ولكن أمرنا سبحانه بالجهاد – لا لعجز واحتياج – بل ليقيمنا فيما يحبه ويرضاه، لنكون يوم القيامة على منابر من نور أمام وجهه الكريم، فى جوار الأطهار من الرسل والأخيار.

الفصل الثالث

آداب الجهاد

الجهاد فريضة على المؤمن

افتتح الله جل جلاله بقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٤٥ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَـٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ الأنفال ٤٥-٤٦، بنداء المؤمنين نداء القريب للقريب، فأنزل المؤمنين منه منزلة المواجهين بوجهه الجميل الحاضرين معه سبحانه وتعالى الذين وهبهم الله آذاناً فى قلوبهم تصغى بها فتسمع كلام الله جل جلاله، وهذا مقام محبة الله للمؤمنين لأن محبة الخلق لله هى فى الحقيقة لأنفسهم لما تصوروه من جماله العلى الجلى، وما علموه من كماله القدسى، ومحبة الله تعالى للخلق إنما هى للخلق، ومن أحبك لنفسه تملق لك وسمع وأطاع وتحمل ثقل محبتك، ومن أحبك لك أنذرك وبشرك وأمرك ونهاك لترقى إلى مقامات الوصال، وتفوز بنيل الكمال، ولما كانت محبة الله تعالى للمؤمنين هى لنا لا له سبحانه وتعالى، كان سبحانه وتعالى هو الآمر الناهى وكنا نحن السامعين المطيعين المسلمين لأحكامه قدراً وشرعاً.

إذا تقرر هذا الأصل للعقول وكشف الله الحجاب عنها، علمنا مقدار الخير الحقيقى بالسمع والطاعة لرسوله فسارعنا إلى القيام بما أمر الله تعالى به والبعد عما نهانا عنه، ببهجة ولذة وفرح، لما نتحققه فى أن تلك الأوامر والنواهى لمحض خيرنا، لأن الله سبحانه تنزه عن أن ينتفع بطاعتنا أو تضره معاصينا، وأن أهل القلوب التى اطمأنت بذكر الله، يتكلمون بقلوبهم مع الله تعالى، وإذا سمعوا الله تعالى يقول: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ الأنفال ٤٥، قالوا: لبيك وسعديك كأنهم حاضرون معه، لأن الآذان تسمع من الإنسان، والقلوب تسمع من مقلبها سبحانه وتعالى، يقول ربنا جل جلاله: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله ﷺ، ومنحهم الله القبول فضلاً منه وكرماً، فقبلوا عن الله ورسوله، وأقبلوا بعد القبول بكليتهم على الله تعالى لأنه سبحانه وفقهم وأعانهم، وشرح لعمل الخير صدورهم، وفى محابه ومراضيه أقامهم.

آداب المجاهدة

أولاً أن يثبت المجاهد عند ملاقاة الأعداء

أمر الله سبحانه وتعالى عباده أن يثبتوا فى الجهاد متيقنين بنيل الحسنيين، أى: بنيل حسنى الشهادة فى الدنيا، وجوار أنبياء الله تعالى صلوات الله عليهم فى الدار الآخرة. والثبات إما الإقدام بصدق إن أمكن، أو حفظ المركز الذى هو فيه حتى ينصره الله تعالى، أو يفتح له باب الجنة، وهذه الآية ليست ناسخة لقوله تعالى: ﴿إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ﴾ الأنفال ١٦، فإن التحرف للقتال أو التحيز إلى فئة هو عين الثبات والحكمة، وهى من حُسن التدبير الذى يسمى سياسة.

ثانياً أن يذكر المجاهد الله كثيراً

يقول الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ الأنفال ٤٥، بين الله تعالى للمؤمنين أن أعظم الشواغل وأجل الشدائد لا تحجب المؤمن عن ذكر الله تعالى. فالذكر لابد منه فى أوقات الهرج والمرج والشدائد المؤلمة، فكيف يغفل المؤمن عنه فى أوقات فراغه وراحته! أنا أعتقد أن المؤمن عند الفزع الأكبر يلتجئ إلى الله تعالى بالقلب وكل الجوارح، فيذكر الله بقلبه بالإخلاص وتفويض الأمور إليه جل جلاله، والفرح بقرب لقائه، والطمع فى إعلاء كلمته ونصرة حزبه سبحانه، حتى يكون الله تعالى أقرب إليه من نفسه التى بين جنبيه، وهكذا يكون ذاكراً لله ذكراً كثيراً.

ثالثاً أن يكون المجاهد مطيعاً لله ورسوله

وذلك بقبول ما أنزله الله من بيان ما يجب أن تنعقد عليه القلوب من العقيدة الحقة، وتتجمل به الأبدان من الأحوال السُنية، والأعمال السَنية، وما يحبه سبحانه وتعالى من الأخلاق الفاضلة والمعاملات الحسنة، فإنه سبحانه وتعالى أنزل على حبيبه ومصطفاه كتاباً مجيداً تبياناً لكل شئ يحبه ويرضاه، فاسمع أيها الجندى بآذان قلبك وأقبل بعد السماع بكليتك مسارعة إلى نيل رضوان الله والفوز بما وعد أولياءه الأطهار.

كما يجب على المسلمين أن يطيعوا رسوله ﷺ فيما بينه لنا من تفصيل المجمل، وبيان المبهم، وتعيين العبادات بحركاتها وسكناتها، فإنه ﷺ بين لنا ذلك بقوله، وعلمنا بعمله ووضح لنا بحاله وأخلاقه صلوات الله وسلامه عليه، وهو المعصوم بالله الذى لا ينطق إلا عن الله تعالى.

وهنا لطيفة قد يتسنى للمؤمن ملاحظتها وهى أن الله سبحانه وتعالى عطف طاعة رسوله على طاعته ليبين للمؤمن أن يستعيذ بالله ويتحصن بحصون وقاية الله تعالى، من أن يتبع هواه إذا خالف السُنة أو يطيع شحه أو يعجب برأيه، بل الواجب على كل مؤمن أن يزن عقيدته وعبادته وأحواله ورأيه وهواه بميزان السُنة، فإن وافقت السُنة فهو على الطريقة القويمة والصراط المستقيم والمنهج الحق، وإن خالفت السُنة وجب عليه أن يتبرأ من عقيدته وعمله وحاله ورأيه وشهوده، ويعتقد أن سُنة رسول الله ﷺ هى الحق، الموصلة إلى الحق، وأن ما عداها هو الباطل، وإنى لأنصح كل أخ جمله الله تعالى بأحوال آل العزائم أن يعادى كل عقيدة وحال وشهود ووجود ورأى لم يكن مستمداً من السُنة وأن يخاف مقام ربه، ومن أطاع شهوداً يخالف السُنة أو حالاً قهره لم يؤخذ من السُنة، فقد أطاع الشيطان، فإن أمر الله لنا بطاعة رسول الله ﷺ دليل على أن فى الحقائق الإنسانية ما يجذب إلى أسفل سافلين، ويعين على الباطل ويبعد عن الحق، وكم من هاوٍ فى الدرك الأسفل من النار وهو مبتهج بكشفه وحاله وعمله، أعاذنا الله من مخالفة سُنة نبيه ﷺ.

رابعاً ألا تكون الأمة المجاهدة متنازعة متفرقة

مرض التنازع ما فشا فى الأمة إلا وأفسد العقيدة والخلق ومحا المُلك والعزة، وأنسى العبادة والخشوع والخشية من الله تعالى، وأظلم القلوب بسوء الظن بالإخوان، ومن فتح باب المنازعة على المسلمين باء بغضب الله وسخطه وتحمل الآثام بقدر ما أفسده التنازع، نبهنا الله فى كتابه العزيز إلى حسن الخلق والدعوة إلى الله تعالى بالعطف والرحمة ولين الجانب، وحثنا سبحانه وتعالى على أن نكون أطباء رحماء بالقلوب، نحقر الدنيا وزينتها ونحب الخير لكل مسلم، ونسارع إلى نجاة إخوتنا المؤمنين مما يوبق الإنسان فى الدنيا والآخرة، وخصوصاً فى مثل هذا الزمان الذى أهملت فيه حدود الله، ولم يكن هناك سيف يكبح جماح النفوس،

ولا سوط يرد طغيان الأجسام، وقد انتشرت المفاسد فى البر والبحر، وألفها الحس وأنست بها النفس وتلذذ بها الجسم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، تنازع المسلمون ففشلوا وسلط الله عليهم من كانوا أتباعاً، فزالت العزة وضعفت القوة وانفصمت عروة الجماعة، والله لا يخلف وعده.

يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ الأنفال ٤٦. معنى التنازع أنه مخالفة رسول الله ﷺ، كالذى حصل من الصحابة يوم أحد، فأدى إلى الفشل، أى الجبن والضعف أمام العدو.

أما قوله تعالى: ﴿فَتَفۡشَلُواْ﴾ الأنفال ٤٦، فمعناه ضعف اليقين المؤدى إلى الهزيمة أمام العدو، وكشف العورات له حتى يتمكن من أغراضه.

وكل مجتمع اتحد، فالله تعالى معه بقدرته وتأييده، قال الله تعالى: ﴿كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةَۢ كَثِيرَةُۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ البقرة ٢٤٩، وكيف يفشل المسلمون وهم ينتظرون من الله إحدى الحسنيين؟! النصر والتمكين فى الأرض بالحق والفوز برضوان الله الأكبر يوم العرض، أو الشهادة وهى بغية المؤمنين.

هذا وإن الاتحاد نصرة من الله تعالى لمن تمسكوا به ولو كانوا عُزلاً من السلاح، خلوا من الآلات، فعلى القائمين بطلب حق أن يتحدوا موقنين بالنصرة من الله تعالى، ويحذروا من التفرقة. والاتحاد المقصود فى هذه الآية هو التشبه برسول الله ﷺ وأصحابه من إخلاص العمل لله وبذل المجهود فى نيل المقصود. وإن من التفرقة ما يشتغل به بعض من لم تتجمل نفوسهم باليقين من البحث عن علم ما قدره الله تعالى، فإن ذلك مع أنه مستور عن النفوس الكاملة خفى عن العقول، فإن البحث عنه باب من أبواب التفرقة، وكيف لا وطالب الحق ينبغى أن يثبت على طلبه، حتى يظفر به أو يفوز بالشهادة فى سبيله، ولو كوشف الإنسان بعدم نيل الحق لترك طلبه، فإن المطالبة بالحق واجب على كل إنسان يأثم بتركها، ولا يعذر إلا إذا بذل كل ما فى وسعه، فإن كوشف بعدم فوزه وترك الطلب، عذب يوم القيامة على ترك المطالبة بالحق، ومن طالب بالحق بعد علمه بنيله، لا أجر له يوم القيامة، لأننا إنما نطالب

بالحق لأنه حق، فإذا قدر الله لنا نيل الحق فخير عجله الله لنا، وإن قضى واحد منا نحبه فى طلب الحق فاز بالحسنى الباقية والخير الأبدى.

خامساً أن يتحلى المجاهدون بالصبر

والصبر حبس النفس عن الجزع عند مقتضاه فى إعلاء كلمة الله تعالى، ولا يحسن الصبر عن إحياء السُنة وإعلاء الكلمة، كما لا يحسن الجزع فى الشدائد عند إعلاء كلمة الله ودفع الظالم والتظالم.

ولما كان الصبر محبوباً لله تعالى، والمتصف به عند مقتضاه حبيب الله تعالى، بشره الله سبحانه وتعالى بأنه معه، لأن الله تعالى صبور يحب كل صبور، ولا شرف أعلى من شرف الصابرين، لأنهم فازوا بمعية الله تعالى، وكل ثمن يدفع فى هذا الشرف قليل.

والحمد لله قد سرت ريح النصرة فأحيت أشلاء رميمة، وجمعت قلوباً متفرقة، ونشطت أبداناً بطيئة، ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، والله ولى التوفيق.

الباب الرابع

موجبات النصر

أولاً الصبر

نصر الله مشروط بالصبر لأمره به فى قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ آل عمران ٢٠٠.

ومعنى الصبر أن يكون تحملاً للأذى والشدائد، كما جاء فى قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ البقرة ٢١٤، سبب نزول هذه الآية أن رسول الله ﷺ وأصحابه لما هاجروا إلى المدينة عاداهم اليهود، وكانوا قد خرجوا بعد ترك أموالهم وبيوتهم فى مكة، فأصابهم فى المدينة شدة، ثم حصل بعد ذلك واقعة بدر فأُحد فالخندق، وكان فى أُحد ما لا يطاق من الشدة فأنزل الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ البقرة ٢١٣، وقد نال هؤلاء من الشدة والبلاء فى الدعوة إلى الحق والعمل به بين أعداء الله ما تنوء به الجبال، وأنتم أقمتم هذا المقام، هل ترضون أو تصبرون على ما يصيبكم مما أصابهم وأكثر؟ وتلك الآية مدنية.

فالله تعالى يخاطب رسول الله ﷺ، ويخاطب الأمة جمعاء إلى يوم القيامة، فيقول بعد ما تقدم من الآيات ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾ البقرة ٢١٤، أى ظننتم ﴿أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ﴾ البقرة ٢١٤، التى أعددتها لأحبابى وأوليائى وأنتم فى راحة من أعدائى ﴿وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم﴾ البقرة ٢١٤، أى يأتكم من البلاء والشدة شبه الذى جاءهم من تسليط أعداء الله عليهم وأذيتهم. وفصّل ما أجمله فى قوله: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم﴾، فقال سبحانه: ﴿مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ﴾، فالبأساء كل بلاء فى مال أو تسليط من ظالم أو تضييق من عدو قاهر، والضراء كل ما ألم بالجسم من مرض وآلام من الحروب، ومعنى ﴿وَزُلْزِلُواْ﴾، أى أهينوا بانتقالهم من مكان إلى مكان آخر، لأن زلزل مأخوذة من زال فإذا كثرت الإزالة قيل: زلزل. ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾، بعد أن بين سبحانه الشدائد التى قد

يطيقها أهل اليقين الكامل ذكر النهاية العظمى فى الشدائد، فقال: ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾ البقرة ٢١٤، ورواية نافع برفع اللام وغيره يرويها بنصب اللام، وإلى هذه الغاية تنتهى الشدة، فإن الحالة إذا بلغت إلى أن الرسول عليه الصلاة والسلام يضجر ويقول: ﴿مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾ البقرة ٢١٤، تكون قد تجاوزت الحد الذى تطيقه نفوس الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ومن علم أن الرسل عليهم الصلاة والسلام لم يشكوا فى تحقق النصر من الله، وإنما كان الاستفهام عن زمان قرب أو بعد، وكذلك من يكونون معه من أهل الإيمان الكامل فإنهم جميعاً لم يشكوا فى أن الله وعدهم النصر وهو سبحانه ناصرهم، وليس لأحد أن يسأل كيف يبلغ بالرسول أن يضجر فيقول: ﴿مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾ لأن الرسول عبد من عبيد الله تجوز عليه أعراض البشرية وله مقدار من الصبر والرضا خصوصاً فى مقام اليقين بتأييد الله له، وفى قوله تعالى: ﴿مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾، إظهار كمال العبودية والعجز أمام الله تعالى – خصوصاً فى مقام نصر الله تعالى وإعلاء كلمته والالتجاء إلى الله تعالى عند الشدة – عبادة لله، وتبرئة العبد من الحول والقوة إلا به سبحانه.

والواجب على كل مؤمن أن يتأدب بآداب أصحابه ﷺ ويلتجئ إلى الله عند كل شدة، ويضرع إليه سبحانه عند كل خطب.

﴿أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ البقرة ٢١٤، ابتدأ الآية بألا، لتصغى قلوبهم إلى ما بعدها، ثم أتى بحرف التوكيد لتطمئن قلوبهم، ثم قال: ﴿نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾، ليشرح صدورهم ويؤانسهم بسرعة إغاثته لهم، وجائز أن يكون الذين قالوا أصحاب الرسول ﷺ، فأجابهم بقوله: ﴿أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾، وسياق الآية يدل على أن هذه الكلمة كلمة الله تعالى، ومن هذا نعلم أن كل داع مضطر يجيبه الله تعالى، فمنهم من يسمع عن الله بما يرد عليه فى قلبه من الطمأنينة، ومنهم من يدعو موقناً كأنه سمع، وسرعة الإجابة يقين الداعى أنه يسأل سميعاً قوياً قادراً مجيباً.

* * *

ثانياً المصابرة

المصابرة وأنواعها

المصابرة هى النوع الثانى من الصبر الذى اقتضته الحقيقة الإنسانية، التى خلقها الله تعالى مضطرة إلى المبادلة المقتضية للمعاملة والمفاضلة والمنازعة، فصابروا غيركم، والغير أنواع:

١ إما من معه فى المنزل من الوالدين والأقارب والأهل والأولاد، أو من معه من إخوانه المؤمنين فى القرية أو المدينة، أو من معه من أهل ذمة الله ورسوله فى محلته، أو المجتمع الإسلامى، ولهؤلاء مصابرة خاصة بينها الله تعالى فى كتابه العزيز بياناً شافياً للعامة وللخاصة فى قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ الإسراء ٢٣.

٢ وأما مصابرة الأعداء فتختلف باختلاف نوع العدو، فإن كان العدو الذى عاديته لنفسك من إخوتك، فيجب أن تتأدب بآداب الله تعالى فى قوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ الكهف ٢٨، وإن كنت عاديته فى الله تعالى لبدعة أو لإظهار شر وفسوق، فتأدب بآداب رسول الله ﷺ فى قوله: (الدين النصيحة) والحديث مشهور.

وإن كان بغضك للقوم، لما تناله منهم من العناء والتعب فى إصلاحهم فتدبر فى قوله تعالى مثنياً على الأنصار: ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ الحشر ٩.

٣ أما المصابرة مع أعداء الله وأعداء رسول الله ﷺ، فقد بينها الله تعالى ورسوله ﷺ بياناً لا يحتاج إلى تأويل وتفسير، قال تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾ هود ١١٣، وقال سبحانه: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ آل عمران ٢٨، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ الممتحنة ١، وقال سبحانه: ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ

بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ﴾ المائدة ٥٢.

ومصابرة هؤلاء يجب أن تراعى فيها الحكمة التى لا تخرج المسلم عن الإسلام، ولا توقعه فى الحرج المضر بالأمة، والواجب على المسلم فى مثل هذا العصر أن يرجع إلى أحكام الله تعالى إلا إذا اقتضى الحكم الشرعى أن تبذل النفوس والنفائس، فلا تتقى لديها منهم تقاة، بدليل قوله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُ﴾ آل عمران ٢٨، والواجب على المسلمين فى وقت المصابرة أن يكونوا يداً واحدة على من صابروه من أميرهم لحقيرهم، خوفاً من أن تفتح التفرقة باباً يدخل منه العدو على جماعتهم، ولكنى لا أقول إن إبداء الرأى من أهله والاختلاف فى الوسائل الموصلة إلى الغرض من التفرقة، ولكنى أحب أن تكون الآراء لبيان الوسيلة التى بها نيل المقصد، وأن تكون على بساط الأُنس والصفا، وأن يقبل الرئيس الرأى من أحقر المرءوسين، فإنما هى نعمة من الله تنال بإلهام منه سبحانه، فقد ينطق عن الهوى من لا خبرة لهم بما هو خير.

وقد أمر الله المعصوم الذى لا ينطق عن الهوى بالمشورة، وقد أمر ﷺ فى غزوة بدر بالنزول فى مكان وقام إلى غيره برأى رجل من الأنصار، وأحب أن يقاتل قريشاً فى واقعة أحد بالمدينة، وخرج بمشورة أحد الأنصار، وهو من تعلم جلالة وقدراً ﷺ ، وقبل مشورة أبى بكر فى أسرى بدر، فالواجب على المسلمين عند مصابرة العدو أن ينسى الرئيس رئاسته والحقير ذلته، ويتمثلون أنهم جسد واحد، كل واحد منهم عضو مسارع لخير الجسد وحفظه ونصرة الله ورسوله، وعلى كل مسلم ألا يذعن إلا بعد أن تقوم الحجة وتتضح المحجة، ويقوم مجاهداً لا مقلداً، عاملاً من عمال الله لا ذيلاً، ويكون الرئيس فى هذا الوقت، هو كتاب الله وسنة رسوله كما قال ﷺ: (المسلمون متكافئون..) الحديث.

ومتى صابر المسلمون أعداء الله تعالى منحهم الله جميعاً الخير، إما بالشهادة والسعادة فى الآخرة، وإما بالتمكين فى الأرض بالحق والعلو فيها بعونه سبحانه وتعالى، والأجر العظيم يوم القيامة.

وفى تحقيق نيل تلك الخيرات، تتضاءل فى نظره ملاذ تلك الحياة، وهذا أمير المؤمنين عمر

بن الخطاب ﷺ يقول: (إن رأيتم فىَّ اعوجاجاً فقوموه) فقام شاب صغير فقال: يا أمير المؤمنين، والله لو رأينا فيك اعوجاجاً لقومناه بسيوفنا. وقد خطأته امرأة وهو على المنبر، فنادى بأعلى صوته: (أخطأ عمر وأصابت امرأة)، ولم تأخذه العزة بالإثم وهذا هو الصبر الحقيقى والتصابر. وكل مسلم يحب السيادة والنباهة فى المجتمع وحسن الأحدوثة – فتسلب الرحمة من قلبه ويعادى إخوانه الذين هم أعضاؤه – مخطئ وإن أصاب ومسئ وإن أحسن ومضروإن نفع. والخطأ فى المصابرة شر عام بخلاف الخطأ فى الصبر.

ثالثاً المرابطة

مواطن المرابطة

الربط معلوم لغة، وهو حبس الحيوان لتوقى شره أو لنفعه أو لاستعداده للعمل. والمرابطة فى الحقيقة الشرعية: ربط الخيل على الثغور تجاه العدو الذى أعد العدة لمهاجمة محلة المسلمين، وهى فرض كفاية على المسلمين، وتتعين على كل مسلم فى موطنين:

١ إذا احتل العدو بلاد الإسلام، تعينت على كل مطيق.

٢ إذا عينها الإمام الأعظم خليفة المسلمين على فئة من المسلمين تعينت عليهم شرعاً.

قال رسول الله ﷺ: (كلّ واحِدٍ مِن المُسْلِمينَ عَلى ثَغْرٍ من ثُغُورِ الإِسْلاَمِ فَإِذَا تهاونَ إِخْوَانُكَ فَاشْدُدْ لِئَلا يُؤْتَى الإِسْلاَمُ مِن قِبَلكَ).

آداب المرابطة

١ أن يكون المرابط على يقين من حقارة الدنيا وفنائها، وجمال الآخرة وبقائها، حتى لا يخدعه العدو بآمال أو بمال، فيسارع إليه فيهلك الحرث والنسل.

٢ أن يكون ما عند الله أحب إليه من الأرض وما فيها ومن فيها.

٣ أن يكون ذا غيرة على الحق ونصرة له.

٤ أن يكون عالماً بقدر الحياة الإنسانية فى الحرية والإرادة، وبقدرها فى الذلة والاستبداد، فيحب لنفسه ولقومه أن يكونوا أعزة أحراراً مريدين، لا يتسلط عليهم عدو لدينهم ولا لمذهبهم ورأيهم الحق، فيمحق الآداب القومية، ويطفئ نور الحق ويستعبده.

٥ أن يتلذذ بالموت ويراه خيراً من الإقامة فى دار الذل والاستعباد، خصوصاً إذا كمل إيمانه وتيقن أنه بالموت يفوز بالملك الكبير، وبالجوار مع الأطهار والأخيار فى معية الصديقين والشهداء والصالحين.

نتائج مرابطة أهل الجهالة

أما المرابطة من أهل الجهالة بتلك الآداب – ولو كان قائد القوة – ربما نزعت نفسه إلى حب العاجلة، فخدعه الأمل من العدو أو أذلته العطية، فمكن العدو من نفسه ومن قومه، ولذلك فيجب على الأمة أن تكون هى الحكومة، وأن تنتقى رجالاً حكماء علماء فطناء فتقيمهم قادة لها، وإنما الأمة هيئات، هيئة حاكمة وهيئة محكومة، والهيئة الحاكمة هم خدم للهيئة المحكومة، فإذا جهلت الهيئة المحكومة قدرها من أن الهيئة الحاكمة خدم لها وصموا بالذل، وجهلوا مقدارهم الحقيقى، من أنه ليس فوقهم إلا الله، ورضوا بأن يكونوا عبيداً للعبيد فساموهم الذل والخسف.

وإذا كانت الأمة المحكومة هى الحاكمة، كانت الأمة هى العائلة التى رئيسها والد حكيم وأفرادها أبناء بررة، يسعى كل فرد منها للنفع العام والخير الحقيقى، ومتى كان الرئيس عدواً للأمة والأمة عدوة له، ساء حاله ومآله.

لا تعجب فإن القوة التى ينفذ الرئيس بها أغراضه على الأمة، هم أفراد من الأمة، وإلا فمتى رأيت يداً تضرب الأخرى!

وأُمة تكون هيئة الحكومة عاملة على إذلالها ساعية فى سلب حريتها واستقلالها، هم بالحيوانات الداجنة أشبه، بل الحيوانات الداجنة أرقى منهم وأعلى، فإن الدجاجة وهى دجاجة إذا رأت وحشاً كاسراً يهم أن يفترس فراخها حاربته حتى تموت مدافعة عن فراخها،

فكيف ينهزم الإنسان أمام إنسان راضياً بالذل والهوان؟! أم كيف للمؤمن أن يخضع لغير القرآن؟! بل كيف يكون النصر من غير الله بالتحيز إلى الأعداء؟!

المرابطة الحقة هى التى على ثغور الإسلام

لا تكون المرابطة مرابطة حقاً إلا على ثغور الإسلام، لا على ثغور الأوطان، والإسلام وطننا كما بينت فى كتاب " الإسلام وطن" ونسبنا كما بينت ذلك فى كتاب " الإسلام نسب" كما أنه ديننا، فمن جعل له وطناً غير الإسلام، ونسباً غير الإسلام، كان كمن رضى بدين غير دين الإسلام.

نحن نرابط على ثغور الإسلام ننتظر من الله الحسنيين أو الحسنى الدائمة، فإن نصرنا الله فى الدنيا فزنا بها، وإن استشهدنا على ثغور الإسلام، تلقتنا ملائكة الرحمة حتى نواجه ربنا راضياً عنا، وحبيبنا فرحاً بنا، ولا نرابط على ثغور الأوطان نسياناً للقرآن.

هل حالتنا الحاضرة وأعمالنا مرابطة على ثغور الإسلام؟

يقول رسول الله ﷺ: (إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمن كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى الله وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ، وَمن كانَتْ هِجْرَتُه لِدُنيا يُصيبُهَا أَو امْرَأَةٍ يَنكِحُها، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ) وإنى أعتقد أن السواد الأعظم من المسلمين الآن هم من المرابطين، لأن تلك اليقظة القلبية لم يدع إليها إلا وجدان الدين، والرغبة فى نيل الفوز يوم القيامة، ولكن الزعماء هم المسئولون بحسب نواياهم. وإنى أحب أن يكون لكل مسلم نية خاصة فى عمله وعمل خاص فى شأنه، وعلى كل حال فإن تلك النهضة مدرسة ابتدائية تجعل النفوس تتمرن على طلب الحقوق، حتى يظهر الحق الأول جل جلاله، وتشرق أنواره على النفوس، فتنمحى تلك النوايا والقصود التى لا ترضى الله، وترخص النفوس والفلوس فى نظر المسلم فى سبيل الله وإعلاء كلمة الله، قال بعض العلماء: (الرياء قنطرة العمل)، (والبركة فى الحركة)، (واليقظة خير من النوم) وقد طالت رقدة الغفلة ونومة الجهالة على الأمة، ونحن نشكر الله تعالى الذى أيقظ قلوب المجتمع الإسلامى، ومنحه الشعور بما كان

لسلفه الصالح من العزة والحرية المطلقة، ونتحقق أن المسلمين ما نالوا هذا المجد إلا باتباع رسول الله ﷺ ونحن إنما ننال هذا المجد بما ناله سلفنا من قبل، وهو اتباعنا لرسول الله ﷺ، وعملنا بوصاياه، ومن جهل تلك الحقيقة طلب المجد من جهة لا يناله بها.

ما هى أنواع المرابطة؟

لما كانت المرابطة حبس الحيوانات، فقد يراد بها حبس النفس عن النزوع إلى ما يهلكها فمن حافظ على الصلوات الخمس فهو مرابط، ومن حفظ جوارحه من التوسع فى المباحات خوفاً من الوقوع فى الشبهات فهو مرابط، ومن حفظ قلبه من الخواطر والواردات التى تحجبه عن الله فهو مرابط، وأعظم المرابطة طلب العلم مع الصبر على الشدائد والبلايا، ولكن أى علم وممن يتلقاه؟

أما العلم فالعلم الذى فرضه الله علينا وفرضه رسول الله ﷺ، قال ﷺ: (طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ) والعلم المفروض علينا العلم بالله وبأيام الله وبأحكام الله وبحكمة أحكامه وبأنفسنا. وما عداه مما به نيل الدنيا والسيادة والشهرة، فليس هذا بفريضة على المسلم إنما هو حجاب يقطعه عن الله، وحسب المسلم أن يتعلم حرفة يحفظ بها نفسه من سؤاله للغير، ويحفظ بها بقية أنفاسه فيما ينال به الفوز بالعلم بالله تعالى وبأحكامه ونفسه، ليكون مع الله ويكون الله معه.

وهناك صناعات تفرض على المجتمع، وهى ما يحصل بها الضرورى للإنسان، وما أمر الله تعالى به فى قوله: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ الأنفال ٦٠، وإذا أهمل المسلمون جميعاً هذه الصناعات – كصناعة الآلات الحربية وما يلزم المجتمع الإسلامى – عاقبهم الله جميعاً على هذا الإهمال، وقد رويت أحاديث كثيرة تدل على أن المسلم يجب أن يكون مرابطاً دائماً، إما فى دين، أو فى دنيا لمن أوجب الله عليه السعى عليهم، أو دفع العدو والتحفظ منه، لأنه مقيد بأحكام الله تعالى، وما من حركة إلا وعلى المسلم واجب فيها.

الثغور التى يجب أن توصد فى وجه العدو وتحصن بأمنع الحصون

قال رسول الله ﷺ: (كُلّ وَاحِدٍ مِنَ الْمُسْلِمينَ عَلى ثَغْرٍ مِن ثُغُورِ الإِسْلامِ فَإن تَرَكَ الْمُسْلِمُونَ فَاشْدُدْ لِئَلا يؤْتَى الإِسْلاَمُ مِن قبَلِكَ) إن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان حراً كريماً، ومنحه سبحانه وتعالى العقل، وبين له سبيل نجاته وهاوية هلاكه، وأمره ونهاه وقدر فى أزله سبحانه وتعالى أن يخلق بنى الإنسان مختلفين حتى يظهر سر المنعم، الحكم العدل، لأنه سبحانه وتعالى لو قهرهم على توحيده، وقدر عذاب بعضهم لكان ظلماً، ولو قهرهم على الكفر به سبحانه، وقدر نعيم بعضهم لخالف ذلك الحكمة والعدل، وهو الحكم العدل ذو الفضل العظيم، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ هود ١١٨ - ١١٩، واختلاف الخلق لحكمة عالية هى ظهور الفضل والعدل، لذلك سلط سبحانه أهل الباطل على أهل الحق، وأمر جل جلاله بالتحفظ من أهل الباطل ومجاهدتهم ابتلاء منه سبحانه للفريقين، حتى يتجلى فضله على عباده الذين وفقهم وأعانهم، وعدله فيمن خالف وأبى.

ولما كانت الحقائق التى ركب منها الإنسان لا تقتضى بذاتها الإقبال على الحق والإسراع إلى ما عنده لميولها إلى الفطر الحيوانية والمفاسد الإبليسية بطبيعتها، لذلك كان إقباله على الله وقبوله للهدى والنور بعناية من الله زائدة على حقيقته، وليس العجب أن ترى الإنسان مسارعاً إلى ما يوبقه فى نار جهنم، ويلبسه الخزى والعار فى الدنيا من الشرك بالله ومخالفة وصايا رسول الله ﷺ، والتهاون بأحكام الله تعالى، والتدنس بالرذائل الأخلاقية، من ضعف الهمة حتى يبلغ منزلة الذل من خوف الذل، ودرجة الموت من خوف الموت، وحالة الفقر من خوف الفقر، فيعيش أضل من الحيوان وأخبث من الشيطان، فرحاً بما ناله من لذة أو جاه أو مال، لعمى عيون بصيرته عن الخير الحقيقى الذى يناله أهل الهمم العلية فى الدنيا والفوز العظيم فى الآخرة، ولو فكر الإنسان لاستبان له الخير وطريقه فسارع إليه، ولظهر له الشر ومدارجه فتباعد عنه، ولو كان فى بعده عنه جوع بطنه وعرى جسده، وآلام جوارحه، لأن بهجته باللذة الروحانية، وأنس ضميره نصيره على المجاهدة فى سبيل الخير الحقيقى

بنسيانه كل ألم وشدة، كيف لا؟ وإن صاحب الدمل ليتلذذ بتمزيق جلده بالمشرط يلتمس فى الطبيب أن يستأصل الأجسام الغريبة من جسمه مع فادح الألم، لاعتقاده نيل الراحة والحياة الطبيعية بعد تلك المجاهدات الشاقة.

ولما كان كلام رسول الله ﷺ يجب أن يتلقى بآذان القلوب، حتى تفقه من أسراره ما هى مؤهلة له بقدرها، لزم أن نتلقاه بتسليم، ونستمد من روحانيته ﷺ أنوار بيانه وفقهه.

ويظهر – والله أعلم – أن الإسلام هنا مقول على حقائق كثيرة: منها أحكامه، ومنها جماعة المسلمين، ومنها كل أرض تقل المسلمين وأهل ذمة الله ورسوله ﷺ. ثم خص ﷺ المسلمين لأنهم مكلفون بأحكام الله، ثم خاطب كل فرد منهم، ليبين ﷺ أن الرجل الواحد من المسلمين هو كأمة عظيمة، وأنه ما خلق إنسان وهداه الله للحق إلا وأقامه سبحانه وتعالى عاملاً مخلصاً، ممثلاً لرسول من رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم.

أولاً ثغور الإسلام من ناحية الأحكام

إذا فسرنا الإسلام بالأحكام كانت ثغوره:

١ حفظ كلام الله تعالى. ٢ تفسير آياته المقدسة.

٣ الأحكام الشرعية. ٤ الجهاد فى سبيل الله.

٥ تنفيذ الأحكام الشرعية. ٦ الدعوة والإرشاد.

٧ الإمامة العظمى. ٨ الإمامة الخاصة فى المساجد والخطب فى الجمع وغيرها.

٩ التمسك بعلوم اليقين.

١٠ الإقبال على الله فراراً مما يشغل عنه بالشوق والنسك والزهد.

هذه هى الثغور وعلى كل ثغر واحد أو جماعة من المسلمين يحافظون على هذا الثغر بالنفس والنفائس ابتغاء لوجه الله الكريم، ورغبة فى نيل رضوانه الأكبر فى جوار أولياء الله الأطهار.

ثانياً ثغور الإسلام من ناحية المجتمع الإسلامية

وإن فسرنا الإسلام بالمجتمع الإسلامى كانت ثغوره:

١ رحمة الكبير للصغير وتعظيم الصغير للكبير.

٢ حب كل مسلم لكل مسلم ما يحبه لنفسه.

٣ معاملة أهل ذمة الله تعالى وذمة رسوله ﷺ بما يعامل به نفسه.

٤ نصرة الأخ ظالماً أو مظلوماً، فيمنع عنه الظلم بالقوة ويمنعه من الظلم بالنصيحة.

٥ جلب الخير ودفع الضر ابتغاء مرضاة الله تعالى وإحياء لشعائر الإسلام.

٦ النصيحة لله ولرسوله ﷺ ولخاصة المسلمين وعامتهم وأهل ذمة الله ورسوله.

٧ بذل المجهود فى اختراع ما به راحة المجتمع حتى تكون الأمة مهيبة آمنة.

٨ جلب ما لابد منه مما هو غير ميسور لدى الأمة راحة للمجتمع.

٩ تصريف مالا حاجة إليه من محصولات الأمة لتنمو الخيرات ويحصل الغنى، والعمل بالإخلاص بعد الراحة من عناء الشغل بالضروريات لتوفير ما لابد منه.

١٠ المسارعة إلى فتح كنوز الأرض حتى تنتفع الأمة بما خزنه الله لها من الخيرات فى الأرض.

١١ قيام رجال منحهم الله الرحمة والشفقة بتحصيل ما به حفظ الصحة على أهلها وإعادتها عند فقدها، حتى تكون الأمة آمنة على صحتها لوجود أفراد منها يقومون لها بتلك المهمة التى هى من أعظم القصود الدنيوية.

وهنالك ثغور أخرى تُعلم ولا تُجهل، وثغور أخرى تلقى من أفواه أهل العلم بالله تعالى لآذان الراغبين فى نيل الكمال، وتلك الثغور يجب أن يكون على كل ثغر منها واحد أو جماعة من المسلمين.

ثالثاً ثغور الإسلام من ناحية البلاد الإسلامية

وإن فسرنا الإسلام بالبلاد الإسلامية، فهذا هو الأمر المهم الجامع المانع، الذى به نيل السعادة والمجد والعزة فى الدنيا والآخرة، وثغوره لا تخفى على ذى بصيرة وهى حسية ومعنوية:

أ ثغوره الحسية

فثغوره الحسية فُرَجُه (أى مفازاته) أو أبوابه المقابلة للأعداء، وعوراته التى يتمكن الأعداء بسببها، وتلك الثغور الحسية فرض الله تعالى المرابطة عليها فرض كفاية، متى قام بها البعض سقطت عن البقية وتتعين على كل مسلم إذا أهملت، وإذا فاجأ العدو أرض المسلمين تعينت المدافعة عنها، وتجب كذلك بتعيين الإمام الأعظم، وبإهمالها ضياع خير الدين والدنيا والآخرة.

أما خير الدين فبالتهاون بأحكامه والعمل بغيره. وأما خير الدنيا فبانتقال الفنون والصناعات والحرف والأعمال والرئاسات والتجارات لغير أفراد الأمة، وهى موارد الثروة والترف، فتصبح الأمة وقد أفسدت الحاجة أخلاقها، والذلة آدابها، والمخاوف وتقليد المتسلطين عوائدها، فتبوء الأمة بخسران الخيرات والآداب والأخلاق والثروة والعزة والحرية والإرادة، بسبب إهمال فرد من أفرادها لثغرها الذى هو عليه، إما لجهالته أو لشرهه وطمعه، فيضيع مجداً عظيماً وخيراً عاماً لمال يقتنيه، أو لسيادة يبتغيها، أو لأصل كاذب يدعيه، ومثل هذا يبوء بالخزى والعار، وسوء الأحدوثة فى الدنيا، والنار بعد موته. ولو تدبر هذا الغر فيما يجره من الخيبة والوبال على نفسه وقومه، لتمنى أن يحترق بالنار ولا يعمل هذا العمل، أو يتمزق جسمه بالمقذوفات ولا يهمل فى ثغره، وتلك الثغور هى التى يجب أن توصد (تسد) فى وجه كل مناوئ، وتحصن بأمنع الحصون، وأقوى الرجال أهل التقوى والغيرة، ويجب أن يكون القائمون بها من العالمين بمقدار ما ينالون من الشرف والمجد والرفعة فى الدنيا، ومجاورة الأطهار فى مقعد صدق عند مليك مقتدر، فإنهم أمناء الأمة على خيرها الدنيوى والدينى والأخروى، بل وعلى حياتها السعيدة فى ظل الحرية والأمن والإرادة.

جعل ﷺ كل واحد من المسلمين على ثغر من ثغور الإسلام، ليبين لكل فرد مقداره المعنوى فى تلك الدار الدنيا، لتعظم الهمم ولتكبر النفوس، وليعلم كل مسلم أنه قائم مقام رسول من رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم، وأنه عامل من عمال الله عملاً لا يقوم به المقربون من ملائكة الله، فيكون لكل مسلم عند الله تعالى مقام فوق ملائكة الله تعالى، فيحصل لكل مسلم نشوة من تناول هذا الطهور المقدس تجعله مسارعاً إلى الخير بكله نشيطاً شجاعاً كرياً، متمثلاً مقدار منزلته عند الله تعالى بإقامته فى حفظ ثغور المسلمين، فكل مسلم مطالب أن يجعل له وقتاً يفكر فيه فى دوام حفظ هذه الثغور، فى إبداء فكرة، أو إحداث مخترعات، أو بذل مال، أو تنبيه إلى ذلك حتى يكون من عمال الله تعالى فى أرض الله، وممن جعلهم الله أبدال رسله.

ب ثغوره المعنوية

أما الثغور المعنوية فهى:

١ يقظة القلب لإقامة حدود الله.

٢ الغلظة فى دفع المظالم وكبح جماح الظالم.

٣ السهر فى مراقبة شئون المجتمع لئلا يدخل عدو عليهم، فيفرق جماعتهم، ويفسد آراءهم، ويحقر أمامهم فضائلهم.

٤ الجد ببذل ما فى الوسع فى رعاية أحوال المجتمع، خوفاً من مخادع يندس بين المسلمين فيفسد ذات بينهم، أو يفسد بين العامة والخاصة لفك عروة الإخاء وتعكير الصفاء.

٥ المسارعة إلى رعاية العدل بالإحسان إلى المحسنين والإساءة إلى المسيئين، مع الاحتياط من أن يحسن إلى قوم مع حرمان أحدهم من الإحسان، أو الإساءة إلى قوم والعفو عن بعضهم.

٦ تقبيح كل عمل أو عادة أو هيئة مما لا يستحسنه الدين، أو تؤدى إلى إسراف أو

ضياع فضائل الأمة وأخلاقها، حتى يتنبه الغافل ويستيقظ النائم، فإن معظم النار من مستصغر الشرر.

٧ تعضيد كل من قام بعمل خير، أو يقول خيراً، أو دل على خير مهما كانت منزلته فى الأمة، لتتنافس الأمة فى الفضائل، ويقتدى بعضها ببعض فى الخيرات.

٨ تغذية الأبناء بلبن الشجاعة الأدبية، والآداب الشرعية، والأخلاق المرضية، ومجازاتهم على الحسن من الأعمال بالمدح والثناء، حتى يسارعوا إليها، وتأديبهم على القبيح منها بأسلوب الحكيم، وبيان مضرته وسوء عاقبته، حتى يكرهوه، فيشبوا على أحسن الأحوال رحمة وعزة نفس، ومسارعة إلى النافع وعملاً للخير، لأنهم أمة المستقبل.

وهذه نماذج الثغور المعنوية، كل ثغر منها عليه رجل من المسلمين، أو امرأة أو رجال ونساء كل بقدر قسطه. وأهم الثغور المعنوية: العناية الكبرى بتربية النشء حتى يسروا سلفهم الصالح بحفظ آثارهم، ووالديهم بتيسير الخير لهم وحفظ شرفهم، والمجتمع أجمع بالقيام بحفظه وجلب الخير له، ودفع الضر عنه، ورجال المستقبل بما يبقونه لهم من جميل الآثار، وجليل الأعمال، فيقتدون بهم وينافسون فى فضائلهم. وإهمال تربية النشء بتسليمهم إلى من لا يحسن التربية علماً وعملاً وأدباً وأخلاقاً ومعاملة، أو إلى من يسره بقاؤهم فى الحضيض الأسفل خوفاً من مزاحمته فيما اغتصبه منهم، أو مساواته فيما امتاز به عنهم، فقد سعى فى هلاك الأمة ومحو آثارها الجميلة دنيا ودیناً، وكيف يأمن الرجل على ابنه الذى هو حقيقته فى حياته، وصورته الباقية بعد مماته، وخليفته على أقاربه، وذكره الخالد له، فيسلمه بيده ليعلمه أعداء نعمته، وحساد مجده والساعون فى سلب سيادته وعزته، ويعتقد بعد ذلك أن ينال خيراً؟! اللهم رحماك بأمة باعت مجداً يدوم وخيراً يبقى بأبخس الأثمان. ومن تساهل فأضاع، يجب أن ينبه ليسارع إلى رد ما أضاع أو يفتح الباب لغيره والله ولى المتقين.

* * *

رابعاً تقوى الله

تقوى الله والعمل بالسُنة

إن هذه الأمة لا يصلح آخرها إلا بما صلح به أولها، وإنما كان إصلاح أولها بتقوى الله تعالى، والعمل بسُنة رسول الله ﷺ والمسارعة إلى فضائل الأعمال وجميل الأخلاق وأحسن المعاملات، وحزب معه الله منصور ولا شك، ومجتمع يتوسل بما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه مؤيد ظافر، والأمر سهل ميسر، لو تبصر الإنسان، ومن قام للحق ليظهره أظهره الله تعالى، ومن طالب بحق هو له ابتغاء مرضاة الله تعالى فاز بما يقصد، فنال خيرى الدنيا والآخرة، ومن علم أنه مسئول أمام سلفه ليحفظ آثارهم، وأمام أهل عصره ليقتدوا به، وأمام رجال المستقبل ليتشبهوا به، ويحيا بينهم بلسان الصدق والثناء، استرخص كل غال فى سبيل نيل هذا الخير العظيم.

حياة الشهداء

وصف الله الشهداء فى محكم آياته بقوله: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ البقرة ١٥٤.

الفرق بين لفظ السبيل مفرداً وجمعاً

وقد جاء لفظ السبيل فى القرآن مفرداً وجمعاً، فجاء مفرداً فى قوله تعالى: ﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ البقرة ١٥٤، وفى قوله: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ الفاتحة ٦، وفى قوله سبحانه: ﴿صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ الشورى ٥٣، وجاء جمعاً فى قوله سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ العنكبوت ٦٩، معناه فى الجمع، جهاد النفس والنفس قد تجاهد لمحو الرذائل وللتجمل بالفضائل، وتجاهد لتنطبع على الطاعة مخالفة لفطرها المهملة وحظها وهواها، وقد تجاهد لترغب فى تحصيل العلم، وفى صحبة الأخيار، ومجالسة الأبرار، وقد تجاهد لتتشبه برسول الله ﷺ، أو للتخلق بأخلاق الله تعالى، وغير ذلك مما لا يسعه هذا الكتاب، لأننا لا نحب الإطالة على طلبة العلم، ولذلك أتى لفظ السبيل جمعاً، وفى إفراده كما بينت لك فى الآيات السابقة هو: جهاد العدو الداخل حتى تستعلى عليه بالآداب الشرعية، وذلك فى ذات الله تعالى، ثم جهاد العدو الخارج، وذلك إما أن يجندل بين الصفين مقدماً نفسه، وهو المقصود فى هذه الآية بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ البقرة ١٥٤، لأنه أقدم على القتل لا طمعاً فى جنة، ولا خوفاً من نار، ولا رغبة فيما دونها، ولكنه أقدم ليلقى أعز الأحبة محمداً ﷺ وحزبه، وهذا الذى نراه قتيلاً بين الصفين لم يمت، ولكنه رفع إلى حظيرة القرب حياً يرزق، لا يمضى نفس من الأنفاس إلا وتتوالى عليه الخيرات المعنوية والحسية، أما الخيرات المعنوية، فإنه يكتب فى صحيفته أعمال كل من هداهم الله تعالى على يده، وأعمال من اهتدوا بهداهم إلى يوم القيامة، وقد يكون فى قبره وعشرات الملايين تعمل، فيكتب الله أعمالهم فى صحيفته لا ينقص ذلك من أعمالهم شيئاً.

قال ﷺ: (مَن سَنَّ فِي الإِسْلاَمِ سُنةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَن عَمِلَ بِهَا مِن غَيْرِ أن يُنقصَ مِن أُجُورِهِمْ شَئ، وَمَن سَنَّ فِي الإِسْلاَمِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَن عَمِلَ بِهَا مِن غَيْرِ أن يُنقَصَ مِن أَوْزَارِهِم شَئ) فذلك هو، وهم بتلك المثابة أحياء يرزقون خير الأرزاق من حيث لا يعلمون. وكم من رجال قتلوا فى هذا السبيل ولهم أكبر قسط من عملنا وعلمنا، لأنهم قتلوا فى إعلاء كلمة الله وإحياء سنة رسول الله ﷺ، وهذه هى الشهادة الكبرى لأنه جاهد نفسه فى ذات الله حتى أفلحت، ثم خرج فاراً إلى الله تعالى حتى قُتل بين الصفين.

وقد ورد فى الحديث الصحيح، أن أرواح الشهداء فى أجواف طيور خضر تسكن سدرة المنتهى، وورد أيضاً أنهم يكونون طيوراً خضراء يسبحون فى الجنة، يأوون إلى سدرة المنتهى، فهم فى نعيم مقيم فى الدنيا ومشاهدة الوجه العلى الجميل يوم القيامة، وورد أيضاً أن الله يفتح لهم وهم فى قبورهم باباً يشهدون به أمكنتهم فى الجنة فيسألون الله السرعة، كما يفتح للمنافقين والكفار إلى النار فيتمنون تأخير وصولهم إليها.

أما الذين يرجعون إلى أهليهم من المجاهدين فى الصف، فإنهم يرجعون بالنصرة والغنيمة والمغفرة، وأما الذين يموتون قبل الملحمة، فلهم رزقهم فى البرزخ، لا كمن جُندل فى الصف، وإنما عين الله من قتل فى هذا الموقف، وخصهم بهذا الفضل العظيم، لأنهم باعوا أنفسهم وأموالهم.

مقام العندية ومقام اللدنية

وقد نهانا الله فى هذه الآية أن نقول عنهم أنهم أموات، وأثبت لهم الحياة عند ربهم، والعندية أعلى مقامات القرب لأهل اليقين الكامل من الأُمة، وليس فوق هذا المقام إلا مقام رسول الله ﷺ وهو مقام اللدنية، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ النمل ٦، ومقام العندية فوق مقعد الصدق قُرباً، لأن القوم رضي الله عنهم أعطوا الله الكل فأعطاهم سبحانه الكل، فكانوا فى جواره عنده.

كيف يكون الشهداء أحياء بعد أن مزقت أشلاؤهم وعلاهم التراب؟

أتى بهذه الآية الشريفة: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ البقرة ١٥٤، حفظاً لقلوب المؤمنين، وقصماً لظهور المنافقين، وكأن متردداً قال: كيف يكونون أحياء بعد أن مزقت أشلاؤهم وعلاهم التراب؟ فقال الله تعالى وهو أصدق القائلين: ﴿وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ البقرة ١٥٤، فمعنى ﴿تَشْعُرُونَ﴾ أى ترون وتشهدون، لأن عيون الرؤوس وعيون العقول، لا تنكشف لها الغيوب المصونة، ولكنها تنكشف لعيون الأرواح من أحباب الله الذين هم عنده. فكم من أحياء يمشون على التراب وقلوبهم سابحة فى ملكوت الله الأعلى، لم تحجبهم عن حبيبهم ضروريات الكون ولا كمالياته، لأن الحقائق انكشفت لهم فتحققوا أن ما فوق الأرض فان، بدليل قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ الرحمن ٢٦، وتحققوا أن الكون من العرش إلى الفرش هالك لا دوام له ولا بقاء، بدليل قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ القصص ٨٨، وقوم وقعت عيون بصائرهم على هذا الغيب المصون، يشهدون مقامات الذين قتلوا فى سبيل الله، ومن كانت همته بطنه وفرجه فهو أضل من الأنعام، فكيف يشهد مقامات أهل الحُب والعلم بالله تعالى!

خاتمة

نصائح للمجاهدين قادة وجنود

استخارة الله أولاً، ومجاهدة النفس للإخلاص لله فى العمل ثانياً، ونية الصدق فى العمل والمعاملة ثالثاً، وتقدمة ذلك بدوام التبتل والتضرع إلى الله تعالى، وترتيل القرآن الشريف ودوام الذكر لله تعالى، ومدارسة سيرة الرسول ﷺ وأصحابه، وقد كتبت لك سيرته ﷺ فى كتاب خاص.

ثم وجود مجتمع فاضل من المسلمين منحهم الله تعالى موهبة الخطابة بأسلوب حكيم حتى يكونوا قوة معنوية للقلوب، وطهوراً صرفاً للأرواح، وغذاء مقوياً للنفوس على ما هى موجهة وجهها شطره.

ويكون إمامهم فى هذا، المشير بالجهاد أو السلم، أعلمهم بالله وأشوقهم إلى لقاء رسول الله ﷺ ومجاورته فى فردوس الله الأعلى، مع إحاطته علماً يقيناً بقوة من يحارب وبمقدار الأمر الذى يُنال بالمحاربة، وحال المدينة فى وقايتها وحصانتها وضعف أهلها وقوتهم. وأن يكون قد علم يقيناً تفصيل مغازى رسول الله ﷺ، ومغازى السلف الصالح والوجوه التى كانوا يلهمونها من الله تعالى للنصرة على العدو، بعلم الأحوال التى كان يستعمل فيها رسول الله ﷺ وأصحابه وسلفنا الصالح الشدة نكاية بأعداء الله تعالى وزجراً لغيرهم، حتى يتعلم أنصار الله وأنصار رسول الله ﷺ فى كل زمان، كيف ينهجون على سُنن رسول الله ﷺ فى الجهاد.

وقدمت لك الأحكام المتعلقة به مما فرضه الله تعالى وسُنة رسوله ﷺ، وبالأخذ به مرضاة الله ومرضاة الرسول ﷺ وخير المجتمع الإنسانى. وإن تلك الضوابط كلها بمراعاتها تفتح أبواب الخير للقائم بهذا الشأن، حتى يلهمه الله تعالى ما به يحصل الظفر والنصر بمشيئة الله تعالى، أما ما يلهمه الله تعالى للإمام القائم بالجهاد فى سبيل الله، من انشراح الصدر بالإقدام، وتيسير القصود كلها للمسارعة إلى إحياء كلمة الله، وتفضل الله عليه وعلى إخوته

المؤمنين بالعناية منه، فإنه لايسطر على صفحات الأوراق ولكن نكله إلى قلب الرجل المخلص لله فى عمله، الصادق مع الله فى معاملته، الذى أقبل بكله على الله، فإن لله تعالى نظرات ربانية وعواطف رحمانية وعنايات بأهل الإيمان بالله يتفضل بها عليهم، عندما يوجهون وجوههم لله مخلصين له الدين، قال الله تعالى: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ محمد ٧.

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: كنت خلف النبى ﷺ يوماً فقال: (يَا غُلاَم احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ...) الحديث.

وكفى المؤمن شرفاً أنه إذا خرج مخلصاً صادقاً فى معاملته، فاز بإحدى الحسنيين أو بهما معاً، الفتح والغنيمة أو الشهادة والفوز بجوار رسول الله ﷺ.

قصائد فى الجهاد للإمام أبى العزائم

قال رضي الله عنه:

أَفْدِى بِرُوحِى الدِّينَ بَلْ أَفْدِى السُّنَنْ ... بِالمَالِ قَدْ أَفْدِى الْقَرَابَةَ والْوَطَنْ

أَرْضٌ بِهَا أُوجِدتُ فَوْقَ مَكَانَتِى ... مِنْ دُونِهَا كُلُ الْعَطَايَا وَالْمِنَنْ

وَطَنِى الْعَزِيزُ بِهِ أَمُوتُ فَتُأْوِنِى ... أَرْضٌ بِهَا حَتَّى يَكُونَ لِيَ السَّكَنْ

أَرْضٌ بِهَا أُنْسِى وَفِيهَا نِعْمَتِى ... وَتُرَابُهَا عِزٌّ وَلِى فِيهَا الْحَسَنْ

وَطَنِى نعَمْ أُمِّى أَبِى وَنَسِيمُهُ ... رُوحِى وَرَيْحَانِى بِهَاتِيكَ الدِّمَنْ

احْفَظْهُ تُحْفَظْ فِى سُرُورٍ فِى شِفَاً ... احْذَرْ تَرَ فِيهِ الْمَزَايَا وَالْمِنَنْ

وَطَنِى وَمَا وَطَنِى سِوَى الْأَرْض الَّتِى ... فِيهَا وُلِدْتُ وَطِيبَهَا قَلْبِى فَطِنْ

الإِسْلاَمْ دِينِى بَلْ هُوَ الْوَطَنُ الَّذِى ... قَدْ جَاءَتِ الْآثَارُ فِيهِ والسُّنَنْ

أَحْيَا وَيَحْيَى الدِّينُ وَالْوَطَنُ الَّذِى ... فِيهِ أُصُولٌ وَالْفُرُوعُ لَهُ الشَّجَنْ

والرَّبُّ وَطَنُ الْمُؤْمِنِينَ جَمِيعِهِم ... يَا رَبِّ أَيِّدْنَا بِرُوحِكَ وَاحْفَظَنْ

وَطَنِى الْعَزِيزُ يَدُومُ لِى فِيهِ الْمِنَنْ

قال رضي الله عنه:

اللهُّ أَكْبَرُ آىُ الذِّكْرِ بُرْهَانِي ... فِى ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا﴾ سِرُّ تِبْيَانِى

أَيْنَ الطَّغَاةُ الْأُلَى رَامُوا مُنَازَعَةً ... لِلْحَقِّ فِى غَفْلَةٍ بِغُرُورِ صُلْبَانِ

قَامُوا بِبَاطِلِهِمْ والْحَقُّ قَاهِرُهُمْ ... رُدُّوا بِخُزِيٍ وإِذْلاَلٍ وخُسْرَانِ

اللهُّ أَكْبَرُ آىُ الذِّكْرِ شَاهِدَةٌ ... بِأَنَّهُ حَافِظٌ بِصَرِيحِ فُرْقَانِ

ذُقْ ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا﴾ تَفْهَمْ إِشَارَتَهَا ... قَلْبِى اطْمَأَنَّ بِهَا فِى حِصْنِ دَيَّانِ

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ﴾ حِصْنُ الْمُؤْمِنِينَ نَعَمْ ... وَفِى ﴿يُدَافِعُ﴾ بُرْهَانٌ لَنَا ثَانِى

اللهُّ أَكْبَرُ كَمْ جَمَعُوا جُمُوعَهُمُو ... كَىْ يُطِفئُوا النُّورَ مِنْ إِنْسٍ وَمِنْ جَانِ

رُدُّوا وَخَابُوا ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ﴾ تُنْبِئُنَا ... عَنِ الْحَقِيقَةِ فَاقْرَأْهَا بِإِيمَانِ

الْحَقُّ يَعْلُو وَمَنْ عَادَاهُ يَمْحَقُهُ ... بِالقَهْرِ وَالذُّلِّ أَوْ بِشُوَاظِ نِيرَانِ

هُمْ يَمْكُرُونَ وَلاَ يَدْرُونَ عَاقِبَةً ... وَالْمَكْرُ مِنْهُمْ عَلَيْهِمْ نَصُّ قُرْآنِ

لاَ تُبْقِ مِنْهُمْ وَبَاغِتْهُمْ بِقَاصِمَةٍ ... أَرِحْ عِبَادَكَ مِنْ عُبَّادِ صُلْبَانِ

أَمْهَلْتَهُمْ فَطَغَوْا جَهْلاً بِمُنْتَقِمٍ ... وَأَفْسَدُوا الدِّينَ عَاجِلْهُمْ بِحِرْمَانِ

نَكِّسْ صَلِيبَهُمُو مَزِّقْ جُمُوعَهُمُو ... وَامْحَقْهُمُو سَيِّدِى فِى كُلِّ أَرْكَانِ

بَاغِتْهُمُو بِشُوَاظِ النَّارِ مَاحِقَةً ... لاَ تُبقِ مِنْهُمْ فَهُمْ مِنْ نَسْلِ شَيْطَانِ

أَمْهَلْتَهُمْ فَطَغَوْا كُفْراً بِنِعْمَةِ مَنْ ... أَوْلَى عَطَايَاهُ مِنْ مِنَنٍ وَإِحْسَانِ

عَادَوْا الْقُرآنَ وَعَادَوْا أَهْلَهُ وَبَغَوْا ... أَهْلِكْ أَعَادِىَ تَوْحِيدٍ وفُرْقَانِ

إِنْ تُمْهِلَنْهُمْ يُضِلُّوا الْخَلْقَ أَجْمَعِهِمْ ... أَلْقِيهُمُو فِى حَمِيمِ حَضِيضِ نِيرانِ

قَدْ أَجْمَعُوا لِيُزِيلُوا الْحَقَّ مِنْ سَفَهٍ ... وَالْحَقُّ يَعْلُو بِآيَاتٍ وَبُرْهَانِ

أَظْهِرْ بِكَ الْحَقَّ أَيِّدْ أَهْلَهُ كَرَماً ... كَىْ يَظْهَرَ الدِّينُ يَا مَوْلَىَ بِإِيمَانِ

أَهْلُ الصَّلِيبِ لَقَدْ رَامُو مُحَارَبَةً ... لِلْحَقِّ وَالْحَقُّ يَمْحَقُ ذَا جَهْلٍ وَطُغْيَانِ

أَهْلَكْتَ عَاداً فَأَهْلِكْهُمْ بِقَاصِمَةٍ ... لِلظَّهْرِ تَمْحَقُهُم فِى كُلِّ أَزْمَانِ

أَيِّدْ شَرِيعَتَكَ السَّمْحَا بِنَصْرِكَ يَا ... غَوْثَ الشَّرِيعَةِ فِى سِرٍّ وَإِعْلاَنِ

اللهُّ أَكْبَرُ جَاءَ الْحَقُّ فَانْمَحَقَتْ ... بِالنُّورِ ظُلْمَاتُ كُفَّارٍ وَشَيْطَانِ

اللهُ أَوْلَى بِنَا مِنَّا وَنَاصِرُنَا ... والدَّافِعُ الشَّرَّ عَنْ دِينٍ وَإِيمَانِ

ثُمَّ الْـوَسِـيلَـةُ خَيْرُ الـرُّسْلِ أَجْمَعِهم طَهَ الـشَّفِيعُ لِنَيْلِ عَمِيمِ إِحْسَانِ
ثُـمَّ الـصَّلاَةُ عَلَـيْهِ دَائِـماً أَبَـداً مِـنَ الإِلهِ بِهَـا نَحْظَـى بِـرِضْـوَانِ

قال رضي الله عنه:

بِـرَبِّكُـم وَطَـنِـى الإِسلاَمُ أَفـدِيهِ بِـالـنَّفْـسِ وَالْمَـالِ والـرَّحمنُ يُعْلِيهِ
وَالْمُسْلِمُونَ هُمُو نَفْسِى وحُبُّهُمُو فَـرْضٌ عَلىَّ بِـصْـدِقِ الْقَـوْلِ أَرْوِيهِ
وَكُلُّ مَـنْ نَـاوَأَ الإِسلاَمَ غَـطْـرَسَـةً هُـوَ الْعَـدُوُّ بعَـوْنِ اللهِ أَرْمِـيهِ
الـدِّينُ مَـوْطِنُ نَفْسِـى أَصْلُ رِفْعَتِهَـا مِـنْ شَرِّ كُلِّ أُولِى الـطُّغْيَـانِ تَحْمِيهِ
بِهِ اسْتَظَلَّتْ وبِـالنُّـورِ الْمُبِينِ لَقَـدَ رَأَتْ مَـشَـاهِـد تَقْـدِيـسٍ وَتَنـزِيهِ
نَفسِـى قَلِيلٌ وَمَـالِى أَنْ أَجُـودَ بِهِ للهِ فِى الـدِّيـنَ حَقًّـا لاَ بِـتَـمْـوِيهِ

تم بحمد الله

الفهرس

مقدمة ٥

الباب الأول

الجهاد وأحكامه وأساسه وأنواعه ٨

الفصل الأول

الجهـاد ٨

تعريف الجهاد ٨

من هو العدو الذى أحاربه؟ ٨

الأعداء ثلاثة ٩

أولاً: أعداء ملازمون ٩

ثانياً: أعداء مفارقون ١٠

ثالثاً: أعداء خارجون ١١

الفصل الثانى

الجهاد وأحكامه ١٣

ثبوت فريضته ١٣

أولاً: ثبوت فريضة الجهاد بالكتاب ١٣

ثانياً: ثبوت فريضة الجهاد بالسنة ١٣

كراهية النفس للقتال مع أنه خير لها فى الدنيا والآخرة ١٤

حكم الله فى موالاة الأعداء ١٦

حكم ترك الجهاد ١٦

عاقبة ترك الجهاد ١٧

ألوان من فتن الاستعمار ١٨
كل مسلم مطالب بالجهاد ٢٠

الفصل الثالث

الجهاد وأساسه ٢١
أساس الجهاد ٢١
أولاً: العدل ٢١
أنواع العدل ٢٢
العدل يأمر به الكتاب وتحث عليه السنة ٢٢
دولة الظلم ساعة ودولة الحق إلى قيام الساعة ٢٣
ثانياً: المصلحة ٢٤

الفصل الرابع

الجهاد وأنواعه ٢٥
أولاً: جهاد النفس ٢٥
ثانياً: جهاد العدو ٢٥
كل بلاء يصيب المؤمن فى سبيل الجهاد هو أكمل النعم عليه ٢٧
تعدد المفاهيم فى قوله تعالى ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ ٢٨
تسمية البذل فى سبيل الله إقراضاً له تعالى ٢٩

الباب الثانى

أهداف الجهاد ٣٠
أولاً: القتال للمعاملة بالمثل ٣٠
ثانياً: القتال لدفع العدوان ٣٠
ثالثاً: القتال لكسر شوكة العدو ٣٢

رابعاً: القتال لمن أخرجونا من ديارنا وأموالنا ٣٢
خامساً: القتال لمن يفتن المسلمين عن دينهم ٣٢
حقيقة المرتد عن دين الإسلام ٣٣
حكم من ارتد بباعث قهرى ٣٣
سادساً: القتال من أجل المستضعفين ٣٤
سابعاً: القتال حتى يكون الدين كله لله ٣٥

الباب الثالث

حكمة الجهاد وشروطه وآدابه ٣٦

الفصل الاول

حكمة الجهاد ٣٦
أولاً: دفع المظالم ٣٦
ثانياً: تحقيق الرحمة العظمى ٣٨

الفصل الثانى

شروط الجهاد ٣٩
أولاً: أن نقاتل فى سبيل الله ٣٩
ثانياً: أن نأخذ من هزائم الأمم السابقة عبرة وعظة ٤٠
ثالثاً: أن نحافظ على الصلاة حتى فى وقت الفزع الأكبر ٤٢
رابعاً: أن نطيع القائد ونبتعد عن الشهوات ٤٣
خامساً: أن نعتقد أن العدو القليل المؤمن خير من الكثير الغير مؤمن ٤٤
سادساً: أن ننصر الله على أنفسنا ٤٥

الفصل الثالث

آداب الجهاد ٤٦

الجهاد فريضة على المؤمن ٤٦
آداب المجاهدة ٤٧
أولاً: أن يثبت المجاهد عند ملاقاة الأعداء ٤٧
ثانياً: أن يذكر المجاهد الله كثيراً ٤٧
ثالثاً: أن يكون المجاهد مطيعاً لله ورسوله ٤٧
رابعاً: ألا تكون الامة المجاهدة ومتنازعة متفرقة ٤٨
خامساً: أن يتحلى المجاهدون بالصبر ٥٠

الباب الرابع

موجبات النصر ٥١
أولاً: الصبر ٥١
ثانياً: المصابرة ٥٣
ثالثاً: المرابطة ٥٥
مواطن المرابطة ٥٥
أداب المرابطة ٥٥
نتائج مرابطة أهل الجهالة ٥٦
المرابطة الحقة هى التى تعمل على ثغور الإسلام ٥٧
هل حالتنا الحاضرة وأعمالنا مرابطة على ثغور الإسلام؟ ٥٧
ما هى أنواع المرابطة؟ ٥٨
الثغور التى يجب أن توصد فى وجه العدو وتحصن بأمنع الحصون ٥٩
أولاً: ثغور الإسلام من ناحية الأحكام ٦٠
ثانياً: ثغور الإسلام من ناحية المجتمع الإسلامى ٦١
ثالثاً: ثغور الإسلام من ناحية البلاد الإسلامية ٦٢

أ ـ ثغوره الحسية ٦٢
ب ـ ثغوره المعنوية ٦٣
رابعاً: تقوى الله ٦٥

الباب الخامس

حياة الشهداء ٦٦
الفرق بين لفظ السبيل مفرداً وجمعاً ٦٦
مقام العندية ومقام اللدنية ٦٧
كيف يكون الشهداء أحياء ٦٨

الخاتمة

نصائح للمجاهدين قادة وجنود ٦٩
قصائد في الجهاد ٧١
الفهرس ٧٤

almashahed
www.almashahed.com